

العدد التاسع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السنة الأولى

الاستشارات

١٠٠ عن سنة كاملة

٦٠ عن نصف سنة

واللطموب

٨٠ عن سنة كاملة

٤٠ عن نصف سنة

٢٥ عن ثلاثة أعداد

يضاف إليها أجرة

البريد خارج القطر

المستأمنون

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي

ستها عشرة أعداد

صاحب الاستباز

ورئيس التحرير

سعيد رمضان

الإدارة:

٣٢ شارع المنيل

بالروضة بالقاهرة

يوليو سنة ١٩٥٢

ذو القعدة سنة ١٣٧١

هَذَا الْقُرْآنُ

لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي

المرشد العام للاخوان المسلمين

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »

قرأت قول الله تعالى « قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فأما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى »

قرأت هذه الآيات ووقفت عندها وتأملت فيها . كانت هذه وصاته تعالى لآدم وزوجه حين أخرجهما من الجنة وأهبطهما إلى الأرض فهي من أقدم الوصايا على الإطلاق لذلك كانت خليفة بأن تكون سنة كونية — لا يتخاف مدلولها عن أحد من خلقه تعالى في أى حال من الأحوال — والقرآن مليء بالسنن الكونية : أى القواعد من مثل واحد وواحد يساوى اثنين وخمسة في ستة يساوى ثلاثين ، أشياء ثابتة لا تتغير ولا تتبدل . وهذه السنن الكونية والله أعلم وضعت لإرشاد الخلق إلى الحق ، لأن

السنة الأولى

العدد التاسع

الاشتراكات

١٠٠	عن سنة كاملة
٦٠	عن نصف سنة
	واللطلاب
٨٠	عن سنة كاملة
٤٠	عن نصف سنة
٢٥	عن ثلاثة أعداد
	يضاف إليها أجرة
	البريد خارج القطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُسْلِمُونَ

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي
سنتها عشرة أعداد

صاحب الامتياز

ورئيس التحرير

سعيد رمضان

الإدارة:

٣٢ شارع المنيل
بالروضة بالقاهرة

يوليو سنة ١٩٥٢

ذو القعدة سنة ١٣٧١

هَذَا الْقُرْآنُ

لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي

المرشد العام للاخوان المسلمين

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »

قرأت قول الله تعالى « قال اهبطا منها جميعا بعضهم لبعض عدو فيما يأتيكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تندى »

قرأت هذه الآيات ووقفت عندها وتأملتها . كانت هذه وصاته تعالى لآدم وزوجه حين أخرجهما من الجنة وأهبطهما إلى الأرض فهى من أقدم الوصايا على الإطلاق لذلك كانت خليفة بأن تكون سنة كونية — لا يتخاف مدلولها عن أحد من خلقه تعالى فى أى حال من الأحوال — والقرآن ملء بالسنن الكونية : أى القواعد من مثل واحد وواحد يساوى اثنين وخمسة فى ستة يساوى ثلاثين ، أشياء ثابتة لا تتغير ولا تتبدل . وهذه السنن الكونية والله أعلم وضعت لإرشاد الخلق إلى الحق ، لأن

إنَّ الإنسان قد يحد لنفسه عقلاً يفكر زينة فيذهب به الشُّغْلُ بِمَا يَدْرُ عَلَيْهِ
كل شيء بتفكيره وتدييره رَأْيُهُ يستطيع أن يمضي في هذه الحياة بما يوحى إليه عقله
من خير يحسبه شراً وشر يحسبه خيراً؛ لذلك وللحد من سلطان هذا العقل وضع الله تعالى
تلك السنن الكونية للإنسان العاقل ليهتدى بها ويسير على رُشدها ، كما وضع لساير
مخلوقاته من النواميس ما هو ثابت دائم كالشمس والقمر والكواكب والنبات
والحيوان وما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى . كل ذلك
لو تأملته لوجدته يسير على سنن لا تتخلف أبداً فكذلك الإنسان وضعت له السنن
الكونية فإن ائتمر بما أمر الله وانتهى عما نهى كان له جزاء الحسنى في الدنيا والآخرة .
تأمل الآية الكريمة فإِذَا يَأْتِيَنكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى .
وهدى الله تعالى ما جاءت به الرسل والأنبياء ، من اتبعه فقد نجا من الضلال والشقاء .
هذا وعد من الله حق ، لو اطمأنت نفوسنا إليه ورضينا به وآمنا وعملنا بما جاء به
الرسول عليه الصلاة والسلام القائل ما تركت من خير إلا وأمرتكم به وما تركت من
شر إلا ونهيتكم عنه لكان لنا عند الله ما وعد به الطيعين ولحق لنا أن نكون له
من السائلين .

وتأمل الآيات الكريمة أيضاً « وَمَن أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي (أى هدى) فَإِن
لَّهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمًى . . . » ترفها ما يصيب الخالفين لأمر الله تعالى
من جزاء في الدنيا وعذاب في الآخرة كما يقولون *موتور علوم رى*
ونحن قد أتناها هدى الله على لسان نبيه الكريم فهل اتبعنا الهدى فيحق لنا ألا
نضل ولا نشقى أو أعرضنا عنه فلنا — ولا تبديل لأحكام الله — معيشة ضنك؟؟ وقانا الله
من جزاء يوم الحشر .

إن بلاد العالم الإسلامى تحكم اليوم إما بقوانين وضعية مستعارة من القوانين
الأوربية لاصلة لها بالقرآن ولا يهتدى القرآن ، وإما أن حكامها يدعون أنهم يحكمون
بالقرآن وهم عن معانى القرآن بعيدون يحسبون أنه صلاة وصوم وحج ولا يدركون
أنه مع ذلك علم وفهم وتربية وأخلاق وجهاد فى سبيل الله ومعاملة وتحقيق العدل
الاجتماعى الذى كلفه الله للناس على صورة لم يصل إليها الناس فى كافة عصورهم لذلك
كانت دعواهم أن دستورهم القرآن من الدعاوى التى تضر بالإسلام والمسلمين أبلغ الضرر
فإنها تكون مقرونة دائماً بجهلهم وفقورهم وتأخرهم وتخلفهم عن ركب الحياة ، فاتخذ
الناس من ذلك دليلاً على أن الإسلام غير صالح لهذه الحياة ، وما العيب فى الإسلام ولكن
العيب فى القائمين عليه . وبلاد العالم الإسلامى فشا فيها من ذميم الأخلاق ما لا يمكن

معه أن يصدق أن المتخلفين بها مسلمون فأكل أموال الناس بالباطل أصبح سجية فيهم : فقل يسأل الإنسان نفسه عن ماله أمن حلال كسبه فيحمد الله أم من حرام جناه فيتوب إليه ويذكر قول الرسول عليه السلام « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » فالقمار المحرم أصبح وسيلة من وسائل الكسب التي تتراءى للناس كأنها مشروعة لفرط ما ألفوها . ولا يبالي الواحد أن يأكل مال أخيه ولا يسأل نفسه عن سبب استجلاله للماله . والرشوة والاختلاس وخيانة الأمانة أصبحت كأنها من مقررات الحياة وأنها جزء من مرتبات الموظفين وعمل الساملين — الأمر الذي تسبب عنه تعطيل المصالح العامة والخاصة لعنم ثقة الناس بعضهم ببعض .

وظلم الأغنياء للفقراء وعدم إيفائهم حقوقهم التي أمر الله زاد غنى الأغنياء وفقير الفقراء وجهلهم وأفسد الحياة الاجتماعية وأخل بتوازنها . والزنا والفجور واستهتار الرجال والنساء وانتهاك الحرمات وشرب الخمر صار كل ذلك شيئاً عادياً يتحدث الناس بحقائقه كأنها من الأمور المباحة وبالأكاذيب فيه كأنها من دواعي الفخر .

ولا تسأل عن الكذب والنفاق والغيبة والنميمة وسخر الناس بعضهم ببعض والتنازع بالألقاب واتهام الناس بالباطل . هذه النقائص كفيلة بهدم المجتمع . تقرقها كل يوم ولا نكلف أنفسنا أن نعرضها على كتاب الله حتى نعلم أننا أعرضنا عن هدى الله تعالى فكان جزاؤنا ما نحن فيه من ضنك المعيشة وصدق الله العظيم : « ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا »

ملاحظة : وقع في الآيات التي ذكرت في مقال العدد الماضي تقديم وتأخير وبعض الأغلاط المطبعية ويحسن ذكر الآيات التي وقع فيها ذلك .

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوه عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تليزوا أنفسكم ولا تباذروا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون .

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم » .

(سورة الحجرات ١١ ، ١٢)

شريعة القرآن دليل على أنه من عند الله

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة فؤاد

حكم القرآن

١ — عرضنا — بيان موجز — للمناهج القرآنية في حماية الحريات ، وإقامة شئون الأمة بالعدل والقسطاس المستقيم ، وأشرنا إلى أن شريعة القرآن قامت على العدل ، والمصلحة ، والشورى .

وقلنا إن المصلحة لها جانبان : جانب الرحمة البينة بدفع المضار ، والرفق في المعاملة ، وجانب النفع يجلب المنافع العامة والخاصة ، والجانبان متلازمان ، وقد بينا رحمة الله بعباده في شريعته . ولكن أمراً شرعه القرآن ، واعتبره أعظم القربات ، وهو يبدو بآدى الرأى غير متفق مع الرحمة ، وذلك الأمر هو الجهاد في سبيل الله ، ومحاربة المشركين ، وقتال المعتدين .

فإن قوماً في هذا العصر وغيره من العصور السابقة الذين لا ينطقون بالحق عابوا شريعة القرآن بأنها أباحت القتال ووازونها بشريعة الأناجيل القائمة ، وأنها لا تبيح القتال ، وتدعو إلى التسامح ، وتقول « من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر » وقالوا إن الذى يتفق مع روح الدين هو السماح لا القتال ، والغفول الجهاد ، وليس النبيون قواد حروب حتى يمتشقوا الحسام ، ويقودوا الجيوش ، ويقتلوا النفوس ، وهى فى الأصل قد حرم الله قتلها .

٢ — ذلك قولهم بأفواههم ، ولما نتعرض لما جاء فى المسيحية من تسامح مع المعتدين ، بل نتعرض لما جاء فى القرآن من شريعة الانتصاف من الظالمين . فنقول إن القتال فى الإسلام هو عين الرحمة ؛ وهو عين السلام ، وهو عين العدل .

أما أنه العدل فظاهر ، لأنه لرد الاعتداء والجاني يجب أن يذوق ثمرة جنايته ، وبإلزامه ، وللمعتدى يجب أن يرد اعتداؤه ، وليس بظالم من انتصر على من ظلمه ، ورد كيده فى نحره ، وإذا كانت بعض البيانات قد حسنت الصفح عن المعتدى فالإسلام

لم يسوغ ذلك في الاعتداء على الجماعات مطلقا ، بل قال في صراحة « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله » أما بالنسبة للاعتداء على الآحاد فسوغ القرآن القصاص وسوغ العفو ، ولذا قال سبحانه ؛ « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » وقال تعالى : « ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » .

وأما أن القتال هو عين السلام إذا كان ردّا للاعتداء ، فلأنه لا ينفى الحرب إلا الحرب ، وكما يقول العرب « القتل أنفى للقتل » ولا يُطْمَع المعتدى إلا التراخي في رد اعتدائه ، ولا يقمعه إلا توقعه أن خصمه سينال منه ، وسيأخذه من نواصيه ، وإن الشر يستمرى استسلام الخير ؛ وليس السلام هو الذي يقوم على الاستسلام ، إنما السلام الحق هو الذي يقوم على العزة ، والكرامة الإنسانية ، ولا يكون ذلك إلا بأخذ الأبهة والاستعداد القوى ؛ والضرب على يد الظالم ، ومنازلة الشر بكل أسلحته ما لم تكن إنما لاشك فيه .

وأما كون القتال في القرآن هو عين الرحمة فإن ذلك يحتاج إلى فضل من التأمل والنظر ؛ وإن ذلك يتجلى على وجهه إذا أشرنا إلى الباعث عليه ، والداعى إليه ، ثم أشرنا إلى منهاجه ومسلكه ، ثم أشرنا إلى نتيجته وغايته ، فسنجد حينئذ أن الباعث عليه هو الرحمة ، وأنه في أثناء القتال تظل الرحمة كالنسيم في وسط النيران ، وكالدفء في وسط الزمهرير ، ثم إن النتيجة ستكون رحمة وأمنا وسلاما ، فالقتال في الإسلام رحمة من ابتدائه إلى انتهائه ، ومن مقدمته إلى نتيجته .

٣ — إن القتال في الإسلام شرع لرد الاعتداء ، ورد اعتداء المعتدى رحمة بالمعتدى والمعتدى عليه ، فالقتال في الإسلام في مبعثه رحمة عامة شاملة .

هاتان مقدمتان صادقتان ونتيجة صادقة ؛ ولثبت كل واحدة من المقدمتين ، وبشيوتهما تثبت النتيجة لاحالة ، أما كون القتال في الإسلام شرع لرد الاعتداء ، وأنه لا يسوغ إلا عند الاعتداء أو توقعه ، وإن لبس الدفاع لبوس الهجوم ؛ لأن أقوى الدفاع ما كان هجوما ؛ ليجتث الشر من أصله — فإن ذلك صريح آيات القرآن ، وإليك بعض الآيات التي سوغته ، فقد قال تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، واقتلوا حيث تفقتومهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفئة أشد من القتل ، ولا تقاتلوا عند المسجد الحرام ، حتى يقاتلواكم فيه ، فإن قاتلواكم فاقتلوا ، كذلك جزاء الكافرين ، فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم ،

وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين .
الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله ، واعلموا أن الله مع المتقين .

فهذه الآية حدثت الباعث على القتال ، وحدثت قانون القتال ، وهو متصل بالباعث
عليه ؛ ثم حدث غايته ونهايته ، فالباعث على القتال بمقتضى هذه الآيات هو رد الاعتداء
بمثله ، وقد دل على ذلك ما انطوى في ثناياها من عبارات وإشارات واضحة بينة :

أولها : أن الله سبحانه وتعالى يقول « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم »
فإباحة القتال من المسلمين مبنية على القتال من غيرهم فكان العلة الباعثة على القتال
اعتداء المشركين .

وثانيها : قوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم »
فالسبب بصريح اللفظ هو الاعتداء على المسلمين ، وإيقاع الأذى بهم .

وثالثها : قوله تعالى عند الإذن بالقتال : « ولا تعتدوا » وهذا معناه ألا يبدأوا
بالقتال ، وألا يقتلوا غير المقاتلين ، فهم منهيون عن الاعتداء ، مأمورون بالاتقاء ،
فلا تكون سيوفهم على أعتاقهم يضعونها على المعتدى وغير المعتدى ، وعلى موضع البرء ،
وموضع السقم .

ورابعها : أن الله سبحانه وتعالى جعل الغاية من القتال منع الفتنة ، فإن انتهت انتهى
القتال ؛ وذلك لأن المشركين كانوا يحاولون أن يفتنوا الناس عن دينهم بالإرهاب والبلاء
والشدة والتعذيب والقتل ، فكان لابد من إزالة هذه الفتنة لتكون الكلمة في الدين
لله ، ويدخل الناس فيما يختارون ولا كره فيه ؛ ولذا قال سبحانه في الآيات السابقة :
« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله » ويقول سبحانه ، تعالت كلماته : « فإن
انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » .

٤ — وإن المنهاج الذي سنه القرآن الكريم للقتال هو أن يكون خالياً من
الاعتداء في أثنائه ، كما كان دفاعاً في باعثه ، فالآيات التي تلونها ناهية عن الاعتداء
بالقتال ، وناهية عن الاعتداء في أثناء القتال ، فالاعتداء بالقتال أن يبدأ المسلمون
بالقتال ، وذلك منهي عنه إلا إذا وقعوا الاعتداء ، ولقد ذكر ابن تيمية أن النبي صلى
الله عليه وسلم لم يبدأ أحداً بقتال قط .

وأما الاعتداء في القتال فهو أن يقتل من ليس له رأى في قتال ولا يعين في قتال ،

ولا يحمل سيفاً ، وقد نهى الإسلام عن ذلك ، وهو داخل في عموم النهي عن الاعتداء ، وفي عموم الأمر بالتقوى في القتال ، وقد طبق ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنهى عن المثلة في القتال ، فقال عليه السلام : « إياكم والمثلة ولو بالكلب » ونهى عن قتل من لا يحمل سيفاً ولا يعين في قتال ، فنهى عن قتل النساء والذرية والشيخوخ الضعاف ، ونهى عن أن تكون الحرب إتلافاً وتخريباً فنهى عن قطع الأشجار ، وتحريق الثمار . وقد استفاضت عنه الأخبار بذلك ؛ يروى أنه صلى الله عليه وسلم مر في بعض مغازيه على امرأة مقتولة ، فقال عليه السلام مستنكراً : « ما كانت هذه لتقاتل » ولقد قال عليه السلام في إحدى وصاياه لجيوشه : « انطلقوا باسم الله ، وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ، ولا طفلاً ، ولا امرأة ، ولا تغلوا وضموا غنائمكم ، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » .

وإن الغاية التي ينتهي عندها ذلك القتال الفاضل هو انتهاء الاعتداء حيث يكون الاطمئنان والسلام ، ولذلك قال سبحانه : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة » ، وقال تعالى : « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » .

لم يكن ثمة شك — إذن — عند من يطلب الحقائق الإسلامية من الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح من الصحابة ، ومن تبعهم باحسان في أن القتال لدى أباحه الإسلام بنص القرآن هو لرد الاعتداء ، وكان من المخالفين الابتداء ، أو توقع المسلمون منهم الشر وبدرت بوادره ، وظهرت ظواهره .

٦ — وإن رد الاعتداء هو الرحمة ، وهذه هي المقدمة الثانية التي قررناها في صدر كلامنا ، وبقي أن نبين وجهة نظرنا ، ودليل المنهاج القرآني فيها .

ليست الرحمة الإسلامية انفعالا نفسياً ، بل إن الرحمة القرآنية تنظيم ثابت ، وعدل قائم ، وأمن وقرار واطمئنان ؛ وأن يعيش كل من يستظل بالراية الإسلامية آمناً في سربه . مطمئناً في قراره ؛ وإن ذلك لا يكون إلا بقطع الاعتداء ، واجتثاثه من أصله ، ومن أجل ذلك شرعت العقوبات الزاجرة الصارمة ، فلو ترك السارقون من غير عقاب لزلزلة أمن الأمنين ، ولو ترك القاتلون من غير أن يقادوا إلى الموت الذي أذاقوه للبرآء ، لتعرضت الأرواح الآمنة للقتل والاعتداء ؛ لأن من قتل لا يرعوى ومن يكون في نفسه نية الإعتداء لا يحجم ، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى : « ولكم في الفصاص حياة » واعتبر الإسلام كسائر الشرائع السماوية أن من قتل نفساً اعتداء

فكأنما قتل الناس جميعاً ؛ لأنه اعتدى على حق الحياة الذي هو حق الجميع ، واعتدى على المعنى الإنساني الذي يستوى فيه الجميع ، فقد قال تعالى : « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً » وإحيائها بالقود من الجاني ، وأخذه بحريته .

فالرحمة القرآنية ليست هي تلك الشفقة التي تنفعل بها نفوس الناس على أهل الجرائم ؛ وينسون أن ذلك النوع من الرحمة الظاهرة يستر في ثناياه شقاء الدين يكونون فريسة المجرمين الذين تنفطر نحوهم تلك النفوس الضعيفة ، وتفكر فيهم تلك العقول الضيقة ، ولذلك كان محمد أرحم الناس بالناس عند ما قال : « من لا يرحم لا يرحم » ؛ لأن قانون الرحمة يوجب سراحة أمن الآمنين ، وهي كالمنفعة يجب أن تكون في ظل الفضيلة ، وأن تكون شاملة لأكثر عدد من الناس ، ولو تردد الإنسان بين الرحمة بعشرة ينقدّم من فلك شرير أثم بقتله ، وبين الرحمة بهذا الشرير بتركه حياً لكان قانون العدد والحساب يقول إن الرحمة بالواحد إجرام وإشقاء ، وإن الرحمة بالعشرة عدل وإبقاء ؛ وإنما الرحمة الحق وغيرها هوى نفسي ، وإن لبس مسوح التسامح والعفو ، فكم من تسامح يكون في ظله الإجرام ، ويفرخ فيه الفساد .

٧ - بهذا المنطق نسير عندما ننظر إلى اعتداء جماعة على جماعة ، ونحكم على اعتداء المشرّكين على المسلمين ؛ فالرحمة توجب قتالهم ، والسلام يوجب امتشاق الحسام لئلاهم ، وليس رحمة أن يتركوا يعيشون في الأرض فساداً وليس تسامحاً أن يتركوا في اعتدائهم سادرين في غيهم ، إنما الرحمة أن يقفهم أهل العدل ؛ ويحتشوا بقتالهم شأفة الظلم ، وإن التسامح مع الأشرار شر ما دام شرهم يعم ولا يخص .

وإن القتال ليس فقط رحمة بالمعتدى عليهم ؛ بل إنه رحمة بالمعتدين أنفسهم ؛ ولا نقرر ذلك لأن من الرحمة بهم أن يدخلوا في دين الإسلام طائعين ، وأن القتال الذي يشره قادتهم يحول دون ذلك ، وأن دفع المسلمين لهم يسهل وصول الدعوة الإسلامية إلى القلوب ، وتلك رحمة ربانية ، لا نقول ذلك ، كما لا نقول : إن رد المعتدين هو حمل لهم على الفضيلة وقتل لروح الشر في نفوسهم . وتلك رحمة إنسانية ، فقد يقول قائل إن ذلك إكراه على الدين أو قريب من معنى الإكراه ، والله سبحانه وتعالى يقول : « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » .

وإنما نقول إن رد الاعتداء بقتال المعتدين هو رحمة بالأمم التي تقاد إلى الاعتداء من نوع آخر ؛ ذلك أن الناس في الماضي كما هم في الحاضر ، لا يفكر دهاؤهم في قتل ولا قتال ، ولا حرب ولا نزال ، إنما يريدون أن يقيموا بين ذويهم وأولادهم في عيشة راضية ، وحياة هادئة ، ولكن كان يزعم أمنهم في الماضي طمع ملوكهم وأهواء قوادهم ، وحب للغلب يسيطر على الأمراء ؛ ويرون ذلك فروسية فيقودون جماعاتهم إلى الختوف ويزعجون أمنهم ، ويخرجونهم من ديارهم ؛ وقد حل الساسة اليوم محل الأمراء ؛ ينسابون بتلك الجموع التي خرجت وهي تريد القرار إلى حرب لا يريدونها ولا يبنونها .

فإذا ترك الملوك المعتدون من غير رادع يردعهم ، ولا مدافع يدفعهم ، ويرد اعتداءهم انسابوا في الأرض مشردين لجماعاتهم مشتتين لشمل الأسر في أمتهم ، فكان رد الاعتداء ، وحمل الملوك على أن يعودوا بأقوامهم إلى عقر دارهم رحمة بالناس : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين » .

٨ — ولقد كان قتال الإسلام رحمة بالجموع التي قادها المعتدون من جهة أخرى ، ذلك أن الإسلام دين العدل والحق والحرية . والملوك الذين قاتلوا كانوا ظالمين لأمتهم ، مفسدين لجماعاتهم ، فلما اصطدموا بالإسلام عند اعتدائهم ، أزال الإسلام شوكة أولئك الملوك الطغاة ، وأباد خضراءهم ، وأى قوة غير قوة الدفاع الإسلامية كانت تستطيع إزالة ملك كسرى ، وإخراج الناس من طغيانه ، وأى قوة غير قوة الإسلام كانت تستطيع أن تزيل ملك الرومان في مصر بعد أن أنزلوا بالمصريين الشدائد ؛ وما كان فتك دقلديانوس ببيعيد . إن قتال الإسلام الذي كان رداً للاعتداء كان بلا شك رحمة بأمم المعتدين .

٩ — قد تبين إذن أن قتال الإسلام كان رداً للاعتداء ، وتبين أن رد الاعتداء كان رحمة في باعته ، ورحمة في منهاجه ، ورحمة في غايته .

وإن التاريخ لم يعرف حرباً فاضلة كحرب النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ، ولم يعرف حرباً رحيمة كحرب أولئك الصديقين والشهداء والصالحين ، ووازنوا بين تلك الحرب التي كانت رحمة للعالمين ، ولا يقاتل فيها إلا من يحمل سيفاً ويضرب والتي كان يعامل فيها الأسرى كأنهم في ضيافة ، والتي اعتبر فيها إطعام الأسير من أقرب القربات ،

كما قال سبحانه في وصف المتقين الأبرار : « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً » ولقد أنزل النبي صلى الله عليه وسلم أسرى المشركين في غزوة بدر بدور الأنصار ، وأوصاهم بهم خيراً ، فكانوا يقدمون الطعام لهم ، ويؤثرونهم على ذويهم وكأنهم في ضيافة ، قابلوا بين هذا وما يصنع اليوم مع أسرى الحروب ؛ وإن الصحف لتذكر أن من أسرى الحرب الأخيرة من تجاوز المليوت والنصف لا يعرف مقرهم ولا يعرف حالهم « فاعتبروا يا أولى الأبصار » ولكن أنى تكون الموازنة ؟ وتلك حرب تستمد قانونها من السماء ، ومن حكم القرآن ، وحرب العصر الحاضر تستمد قانونها من قانون الغابات والآجام ! .

١٠ — وإذا كانت شريعة القرآن رحمة بالناس ، لأن رسالة الرسول عليه السلام كانت رحمة بالناس . فمن الرحمة بالناس أن جاءت الشريعة في جملتها وتفصيلها لمصلحة الناس ؛ وما من مصلحة حقيقية للناس ، وليست وهما من الأوهام إلا وقد تبينت النصوص القرآنية ، أو الأحاديث النبوية بالعبارة المبينة ، أو الإشارة الجلية ، أو العلة القياسية ، وقد قال تعالى : « أychسب الإنسان أن يترك سدى » .

وتعجبنى كلمة لابن تيمية في هذا المقام ، فقد قال :

« القول الجامع أن الشريعة لا تهمل مصلحة قط ، بل إن الله تعالى قد أكمل هذا الدين ، وأتم النعمة ، فما من شيء يقرب إلى الجنة إلا وقد حدثنا به النبي صلى الله عليه وسلم ، وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعده إلا هالك ، لكن ما اعتقده العقل مصلحة ، وإن كان الشرع لم يرد به فأحد أمرين لازم له ؛ إما أن الشارع دل عليه من حيث لم يعلم هذا الناظر ، أو أنه ليس بمصلحة واعتقده مصلحة ؛ لأن المنفعة في نظره هي الحاصلة أو الغالبة ، وكثيراً ما يتوهم الناس أن الشيء ينفع في الدين والدنيا ، ويكون فيه منفعة مرجوحة بالمضرة ، كما قال تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ، وإثمهما أكبر من نفعهما » .

هذا وإن شريعة القرآن وارتباطها بمصالح الناس موضوع قد خاض فيه العلماء وكثرت بحوثهم ، واختلفت في بعضه أنظارهم ، ولنرجى الكلام فيه ببعض التفصيل والله ولي التوفيق .

في ظلال القرآن

للأستاذ سيد قطب

« قل : من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين . من كان عدواً لله وملائكته ورُسُلِهِ وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين . »

« ولقد أنزلنا إليك آياتٍ بَيِّنَاتٍ وما يكفرُ بها إلا الفاسقون . أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريقٌ منهم ، بل أكثرهم لا يؤمنون . ولما جاءهم رسولٌ من عند الله مصدقٌ لما معهم نبذ فريقٌ من الذين أوتوا الكتابَ كتابَ الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ؛ واتَّبَعُوا ما تَتْلُو الشياطينُ على مُلْكٍ سليمانَ ، وما كَفَرَ سليمانُ والكنَّ الشياطينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وما أُنْزِلَ على المَلَكِينَ بيابِلَ : هاروتَ وماروتَ . وما يَعْلَمَانِ من أحدٍ حتى يَقولا : إنما نحنُ فِتْنَةٌ فلا تَكْفُر ، فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ما يُفَرِّقُونَ به بَيْنَ المرءِ وزَوْجِهِ . وما هم بضارِّين به من أحدٍ إلا بإذنِ الله . ويتعلمون ما يضرُّهم ولا ينفعُهم . ولقد عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ما لَهُ في الآخرةِ مِن خِلاقٍ ، ولبِئسَ ما شَرَوْا به أَنْفُسَهُمْ لو كانوا يَعْلَمُونَ . ولو أَسْأَلَهُمْ آمَنُوا واتَّقُوا لَمَثُوبَةٌ من عند الله خَيْرٌ لو كانوا يَعْلَمُونَ . »

في هذه الآيات نطلع على سمة أخرى من سمات يهود . سمة عجيبة حقاً . لقد بلغ هؤلاء القوم من الحق والغيظ أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده مبلغاً يتجاوز كل حد . وقادهم هذا إلى تناقض لا يستقيم في أى عقل . . لقد سمعوا أن جبريل ينزل بالوحي من عند الله على محمد . ولما كان عداؤهم لمحمد قد بلغ مرتبة الحق والغيظ ، أن ينزل الله عليه قرآناً ، وأن يكلفه رسالة . . فقد لج بهم الحق ، فأعلنوا عداؤهم لجبريل أيضاً ! .

إنها الحماقة المضحكة . ولكن الغيظ والحقد يسوقان إلى كل حماقة . . وإلا فماذا أذنب جبريل ؟ ولم يكن جبريل بشراً يعمل معهم أو يعمل ضدهم . بل إنهم لا يعلمون من جبريل ؟ ما حقيقته ؟ كيف ينزل بالوحي ؟ فكل أولئك — بالقياس إلى الناس — غيب من الغيب الذي لا يدرك كنهه إلا عالم الغيب والشهادة ؛ وليس على البشر إلا أن يؤمنوا به ما داموا قد سلموا بالبدئية العقلية الأولى ، وهى أنهم لا يمكن أن يدركوا إلا ما تنهأت عقولهم لإدراكه ، وما يخضع لوسائلهم البشرية في الإدراك . وهى وسائل محدودة وقاصرة عن كثير .

والكنهم — مع هذا كله — ما يكادون يسمعون اسم جبريل ، ويعلمون أنه ينزل بالوحي من عند الله ، حتى يهيج هائجهم ، وحتى يغلى غيظهم ، وحتى يعلنوها عداوة جاهرة لجبريل ، فيجيبهم الرد « قل : من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله » . وما كان له من هوى شخصى ، ولا إرادة ذاتية فى أن ينزله على قلبك ، إنما هو منفذ لإرادة الله ، عامل بإذن الله . .

ثم ما الذى يخفهم ؟ إن ما نزله جبريل على قلبك بإذن الله إنما جاء « مصداقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل . وهدى وبشرى للمؤمنين » . فقيم هذه الحماقة من بنى إسرائيل ؟

وكانوا كعادتهم — فى تفريق الدين وتفريق الرسالة — قد فرقوا بين ملائكة الله الذين يسمعون أسماءهم ولا يدركون كنههم . فقالوا : إنما على صداقة مع ميكائيل ، أما مع جبريل فلا ! لذلك جمعت الآية التالية جبريل وميكال وملائكة الله ورسله ، لبيان وحدة الجميع ؛ ولإعلان أن من عاداهم فقد عاداهم جميعاً . وأن الله عدو للكافرين الذين لا يؤمنون بهم جميعاً . . ثم كشف عن سبب الكفر بآيات الله . إنه الفسوق وانحراف الفطرة فالطبيعة المستقيمة لا يسعها إلا أن تؤمن بتلك الآيات البينات ، التى لا عوج فيها ولا فسوق « وما يكفر بها إلا الفاسقون » .

ثم يعضى السياق مندداً باليهود ، كاشفاً عن سمة أخرى من سماتهم الوبيثة . . . إنهم جماعة مفككة لا يجتمعون على رأى ، ولا يتكافلون فى الخير ، ولا يفيثون إلى نظام . وما من عهد يقطعونه على أنفسهم حتى تند منهم فرقة فتنتقض ما أبرموا ، وتخرج على ما أجمعوا : « أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم ؟ » وبئسها من خلة ، تقابلها فى المسلمين خلة أخرى على النقيض ، ويعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « المسلمون عدول تتكافأ دماؤهم ، ويقضى بذمتهم أدبهم ، وهم يد على من سواهم » . . .

يقضى بذمتهم أدناهم ، فلا يخيس أحد بعده إذا عاهد ، ولا ينقض عهده أحد إذا أبرم . تلك سمة الجماعات المفككة الهزيلة المنحرفة الفطرة ، وهذه سمة الجماعات الكريمة المتماسكة المستقيمة ، وذلك فرق ما بين أخلاق اليهود وأخلاق المسلمين في كل زمان ومكان

« ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون » .

وفي الآية ما فيها من سخرية خفية يحماها النص على أن الذين أوتوا الكتاب هم الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم . فلو كانوا هم المشركين لكان لهم في نبذ كتاب الله وراء ظهورهم شيء من العذرة ولكنهم هم الذين أوتوا الكتاب . هم الذين عرفوا الرسالات والرسول . هم الذين اتصلوا بالهدى ورأوا النور . وماذا صنعوا ؟ إنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم . والقصود طبعاً أنهم جحدوه بعنف ، وأنهم أبعده من مجال تفكيرهم بشدة . ولكن التعبير المصور ينقل المعنى من دائرة الدهن إلى دائرة الحس ، ويمثل عملهم بحركة مادية متخيلة ، تصور هذا التصرف تصويراً بشعاً زرياً ، ينضح بالكنود والجحود ، ويتسم بالغلظة والحماقة ، ويدع الخيال يتملى هذه الحركة العنيفة ، والأيدى تنبذ كتاب الله وراء الظهور .

ثم ماذا ؟ ماذا بعد أن نبذوا كتاب الله المصدق لما معهم ألعلمهم قد لا ذوا بما هو خير منه ؟ ألعلمهم لجأوا إلى حق لا شبهة فيه ؟ ألعلمهم استمسكوا حق بكتابهم الذي جاء القرآن ليكمّله ويمنحه الامتداد والحياة ؟ . . . كلا ؟ لا شيء من هذا كله . . . إنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ليحروا خلف أساطير غامضة ومحاولات شريرة لقد تركوا ما أنزل الله « واتبعوا ما تلو الشياطين على ملك سليمان » ، وبحشوا عن السحر الذي كان هاروت وماروت يعلمانه للناس . . . ترك الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم وجروا وراء تلك الأساطير وخلف هذا السحر وتلك سمة أخرى من سمات الطبع المنحرف ، يسجلها القرآن على يهود وبعد فلا بد من كلمة هنا عن السحر ، وعمما يفرق بين المرء وزوجه مما كان هؤلاء لليهود يحجرون خلفه ، ويتركون كتاب الله من أجله .

إنه ما يزال مشاهدا في كل وقت أن بعض الناس يملكون خصائص عقلية أو نفسية لم يكشف العلم عن كنهها بعد ، لقد سمى بعضها بأسماء ، ولكنه لم يعدد كنهها ولا طرائقها . . . هذا « التلباثي » — التخاطب عن بعد — ما هو وكيف

يتم؟ كيف يتلك إنسان أن يدعو إنسان على آباءه وعوائله ثم يصل إليها صوت الإنسان في العادة، فينتقي عنه دون أن تقف دونهما القراءة والابعاد؟ وهذا التنويم المغنطيسي ما هو وكيف يتم؟ كيف يقع أن تسيطر إرادة على إرادة، وأن يتصل فكر بفكر، فإذا أحدهما يوحى إلى الآخر، وإذا أحدهما يتلقى عن الآخر كأنما يقرأ من كتاب مفتوح؟ وهذا الإيحاء ما هو وكيف يتم؟ كيف ينتقل تأثير معين من فكر إلى فكر أو إلى عدة أفكار؟ ما طبيعة هذا التأثير وكيف انتقل وأية أداة نقلته؟ وفي أي وسط انتقل؟ إن كل ما استطاع العلم أن يقوله إلى اليوم في هذه القوى التي اعترف بها هو أن أعطاها أسماء! ولكنه لم يقل قط ما هي. ولم يقل قط كيف تتم.

وثمة أمور كثيرة أخرى يمارى فيها العلم. إما لأنه لم يجمع منها مشاهدات كافية للاعتراف. وإما لأنه لم يهتد بعد إلى وسيلة تدخلها في نطاق إمكانياته التجريبية.. هذه الأحلام التنبؤية — وفرويد ذاته لم يستطع إنكار وجودها من الوجهة النظرية — كيف أرى رؤيا عن مستقبل مجهول، ثم إذا هذه النبوءة تصدق في الواقع بعد حين؟ وهذه الأحاسيس الخفية التي ليس لها اسم بعد. كيف أحس أن أمراً ما سيحدث بعد قليل ثم يحدث ما توقعت على نحو من الأنحاء؟

إنه من المكابرة في الواقع أن يقف إنسان لينفي ببساطة مثل هذه القوى المجهولة في الكائن البشري، لمجرد أن العلم لم يهتد بعد إلى وسيلة يحرب بها هذه القوى.

وليس معنى هذا هو التسليم بكل خرافة، والجري وراء كل أسطورة.. إنما الأسلم والأحوط أن يقف العقل الإنساني أمام هذه المجاهيل موقفاً مرناً، لا ينفي على الإطلاق ولا يثبت على الإطلاق. حتى يتمكن العلم يوماً بعد ارتقاء وسائله من إدراك ما يعجز الآن عن إدراكه، أو يسلم بأن في الأمر شيئاً فوق طاقته، ويعرف حدوده، ويحسب المجهول في هذا الكون حسابه.

السحر من قبيل هذه الأمور. قبرة على الإيحاء والتأثير، إما في الحواس والأفكار وإما في الأشياء والأجسام.. ولا مانع أن يكون وسيلة للتفريق بين المرء وزوجه، وبين الصديق وصديقه، فالانفعالات نتيجة للتأثرات، وإن كانت الوسائل والآثار، والأسباب والنتائج. لا تقع كلها إلا وفق مشيئة الله. «وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله».

على أية حال لقد نبذ الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم، وراحوا يتعلقون بما يروى عن الشياطين في عهد سليمان، وما يقال عن وسائل سليمان في الحصول

على تلك القوى التي تسخر له ماسخره الله . وما كفر سليمان بالله ، ولا اعتمد على وسائل شريرة أوتوى شيطانية . إنما كفر الشياطين الشريرين الذين يعلمون الناس هذه الطرق الشريرة التي يؤثرون بها في غيرهم تأثيراً ضاراً ، ويعلمونهم ما كان لدى الملوك أو الملوك : هاروت وماروت ، مذكنا في بابل ، فتنة لأهل عصرها وابتلاء ، وكانا إذا جاءهما أحد يطلب علم هذه الوسائل التي تؤثر في الناس وتفرق ما بين المرء وزوجه ، يقولان له : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » ولا تعلم هذا العلم الضار المؤذي ، فإذا أصر بعد هذا النصيح كان حسابه على نفسه ، وعلماء ما يطلب ، وتركاه لعمله .

أما متى كان هذان الملوك بابل ، فيبدو أن قصتهما كانت معروفة متداولة بين اليهود في ذلك الحين ، بدليل أنهم لم يكذبوا هذه الإشارة ولم يعترضوا عليها . وقد وردت في القرآن الكريم إشارات مجملة لبعض القصص التي كانت معروفة عند المخاطبين بها ، وكان في ذلك الإجمال كفاية لأداء الغرض ؛ ولم يكن هناك ما يدعو للتفصيل التاريخي ، لأن هذا التفصيل ليس هو المقصود . ولا أحب أن نجري نحن — في هذه القصة — خلف أساطير لم ترد في كتابنا ؛ فحسبنا أن نقف عند هذه الإشارة ومغزاها . ولقد مضى في تاريخ البشرية من الآيات والاختبارات ما يناسب حالتها وإدراكها في كل طور من أطوارها . فإذا جاء الاختبار في صورة رجلين طيبين كالملوك ، أو ملكين في صورة رجلين . . . فليس هذا غريباً ولا شاذاً بالقياس إلى شتى الصور وشتى الاختبارات وشتى المعجزات ، التي مرت بها البشرية وهي تحبو ، وهي تخطو ، وهي تقفو أشعة الشعلة الإلهية المنيرة في غياهب الليل البهيم (١) .

(١) بهذا الدرس ينتهي ما قدر له أن يفشر من هذه السلسلة في « المسلمون » . . . ذلك أن « في ظلال القرآن » ستفشر مستقلة في ثلاثين جزءاً على التتابع ، تظهر كل حلقة على رأس كل شهرين ابتداء من شهر سبتمبر القادم إن شاء الله . تنشرها دار « إحياء الكتب العربية » لعبسى الحلبي وشركاه . أما « المسلمون » فتأخذ في نشر بحث آخر تحت عنوان : « نحو مجتمع إسلامي » بمون الله . . . المؤلف

السُّنَّة

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى السباعي

(٩)

الموضوع وعلمانه

وكما وضع العلماء القواعد لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف من أقسام الحديث وضعوا قواعد لمعرفة الموضوع وذكروا له علامات يعرف بها . وقد ذكرنا من قبل أصناف الموضوعين والأسباب الحاملة على ذلك . ونذكر الآن العلامات التي تدل على الوضع ونقسمها إلى قسمين :

علامات في السند وعلامات في المتن .

علامات الوضع في السند

وهي كثيرة أهمها :

- ١ — أن يكون راويه كذابا معروفا بالكذب ولا يرويه ثقة غيره وقد عنوا بمعرفة الكذابين وتوارى عنهم وتتبعوا ما كذبوا فيه بحيث لم يقات منهم أحد .
- ٢ — أن يعترف واضعه بالوضع كما اعترف أبو عصمة نوح بن أبي مريم بوضعه أحاديث فضائل السور وكما اعترف عبد الكريم بن أبي العوجاء بوضع أربعة آلاف حديث يحرم فيها الحلال ويحلل فيها الحرام .
- ٣ — أن يروي الراوى عن شيخ لم يثبت لقياء له أو ولد بعد وفاته أو لم يدخل المكان الذي ادعى سماعه فيه . كما ادعى مأمون بن أحمد الهروي أنه سمع من هشام ابن عمار فسأله الحافظ ابن حبان متى دخلت الشام . قال : سنة خمسين ومائتين . قال ابن حبان : فإن هشام الذي تروي عنه مات سنة خمس وأربعين ومائتين . وكما حدث عبد الله بن إسحاق الكرماني عن محمد بن أبي يعقوب . فقيل له مات محمد قبل أن تولد بتسع سنين . وكما حدث محمد بن حاتم الكشي عن عبد بن حميد . قال الحاكم أبو عبد الله هذا الشيخ سمع من عبد بن حميد بعد موته بثلاث عشرة سنة ، وفي مقدمة

مسلم أن المعلى بن عرفان قال حدثنا أبو وائل قال خرج علينا ابن مسعود بصفين ، وقال أبو نعيم يعني الفضل بن دكين ، حاكبه عن المعلى ، أترأه بعث بعد الموت ؟ وذلك لأن ابن مسعود توفي سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين قبل انقضاء خلافة عثمان بثلاث سنين . ولا شك أن العمدة في مثل هذه الحالة على التاريخ . تاريخ مواليد الرواة وإقامتهم . ورحلاتهم وشيوخهم ووفاتهم ولذلك كان علم الطبقات علما قائما بذاته ولا يستغنى عنه تقاد الحديث قال حفص بن غياث القاضي ، إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين . يعني سنّه وسن من كتب عنه . وقال سفيان الثوري لما استعمل الرواة الكذب . استعملنا لهم التاريخ .

٤ — وقد استفاد الوضع من حال الراوى وبواعثه النفسية مثل ما أخرجه الحاكم عن سيف بن عمرو التميمي . أنه قال كنا عند سعد بن طريف فجاء ابنه من الكتاب يبكي فقال مالك ؟ قال ضربني المعلم فقال سعد . لأخزينهم اليوم ، حدثني عكرمة عن ابن عباس مرفوعا « معلمو صبيانكم شراركم أقلهم رحمة لليتيم وأغلظهم على المساكين » . ومثل حديث « الهريسة تشد الظهر ، فإن واضعه — محمد بن الحجاج النخعي — كان يبيع الهريسة » .

علامات الوضع في المتن

أما علامات الوضع في المتن فهي كثيرة أهمها :

١ — ركاكة اللفظ بحيث يدرك العليم بأسرار البيان العربى أن مثل هذا اللفظ ركيك لا يصدر عن فصيح ولا بليغ فكيف بسيد الفصحاء صلى الله عليه وسلم . قال الحافظ بن حجر (ومحل هذا إن وقع التصريح بأنه من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم) قال ابن دقيق العيد كثيرا ما يحكمون بذلك أى بالوضع باعتبار أمور ترجع إلى المروى . وحاصله أنهم لكثرة ممارستهم لألفاظ الحديث حصلت لهم هيئة نفسانية وملكة قوية يعرفون بها ما يجوز أن يكون من ألفاظ النبي وما لا يجوز قال البلقيني وشاهد هذا أن إنسانا لو خدم إنسانا سنين وعرف ما يجب وما يكره فادعى إنسان أنه يكره شيئا . علم ذلك أنه يحبه فبمجرد سماعه يبادر إلى تكذيبه .

٢ — فساد المعنى : بأن يكون الحديث مخالفا لبدهيات العقول من غير أن يمكن تأويله مثل (أن سفينة نوح طافت بالبيت سبعا وصلت عند المقام ركعتين) أو أن يكون مخالفا للقواعد العامة في الحكم والأخلاق مثل (جور التركي ولا عدل العرب)

أو داعيا إلى الشهوة والمفسدة مثل (النظر إلى الوجه الحسن يحلى البصر) أو مخالفا للحس والمشاهدة مثل (لا يولد بعد المائة مولود لله فيه حاجة) أو مخالفا لقواعد الطب المتفق عليها مثل (الباذنجان شفاء من كل داء) أو مخالفا لما يوجب العقل لله من تنزيه وكمال نحو (إن الله خلق الفرس فأجراها فعرقت فخلق نفسه منها) أو يكون مخالفا لقطعيات التاريخ أو سنة الله في الكون والإنسان : مثل حديث (عوج بن عنق وإن طوله ثلاثة آلاف ذراع وأن نوحاً لما خوفه الغرق قال احملني في قصعتك هذه يعنى (السفينة) وأن الطوفان لم يصل إلى كعبه ، وأنه كان يدخل يده في البحر فيلتقط السمكة من قاعه ويشويها قرب الشمس . ومن ذلك حديث رتن الهندي وأنه عاش مئتمئة سنة وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم) أو أن يكون مشتملا على سخافات وسماجات يسان عنها العقلاء مثل (الديك الأبيض حبيبي وحبيب حبيبي جبريل) ومثل (اتخذوا الحمام المقاصيص فإنها تلهي الجنة عن صبيانكم) وهكذا كل ما يرد العقل بداهة فهو باطل مردود قال ابن الجوزي : ما أحسن قول القائل كل حديث رأيت تخالفه العقول وتناقضه الأصول وتباينه النقول فاعلم أنه موضوع ؛ وقال في المحصول : كل خبر أوهم باطلا ولم يقبل التأويل فكذب أو نقص منه ما يزيل الوهم .

٣ — مخالفته لصريح القرآن : بحيث لا يقبل التأويل مثل (ولد الزنا لا يدخل الجنة إلى سبعة أبناء فإنه مخالف لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى) بل هو مأخوذ من التوراة فهو من أحكامها . ومثل ذلك أن يكون مخالفا لصريح السنة المتواترة مثل : إذا حدثتم عنى بحديث يوافق الحق فخذوا به حدثت به أو لم أحدث ، فإنه مخالف للحديث المتواتر (من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) أو يكون مخالفا للقواعد العامة المأخوذة من القرآن والسنة مثل (من ولده له ولد فسمه محمدا كان هو ومولوده في الجنة) ومثل (آيت على نفسى ألا أدخل النار من اسمه محمد أو أحمد) لأن النجاة بالأعمال الصالحة لا بالأسماء والألقاب .

أو أن يكون مخالفا للاجماع مثل من قضى صلوات من الفرائض في آخر جمعة من رمضان كان ذلك جابراً لكل صلاة فاتته في عمره إلى سبعين سنة فإن هذا مخالف لما أجمع عليه من أن الفائتة لا يقوم مقامها شيء من العبادات .

٤ — مخالفته لحقائق التاريخ المعروفة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم :

مثل حديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع الجزية على أهل خيبر ورفع عنهم الكسكة والسخرة بشهادة سعد بن معاذ وكتابة معاوية بن أبي سفيان مع أن الثابت في

التاريخ أن الجزية لم تكن معروفة ولا مشروعة في عام خير وإنما نزلت آية الجزية بعد عام تبوك وأن سعد بن معاذ توفي قبل ذلك في غزوة الخندق وأن معاوية إنما أسلم زمن الفتح فخقائق التاريخ ترد هذا الحديث وتحكم عليه بالوضع ومن أمثلة ذلك حديث أنس . إنما حرمت دخول الحمام بغير منزر مع أن الثابت تاريخياً أن الرسول لم يدخل حماماً قط إذ لم تكن الحمامات معروفة في الحجاز في عصرهم .

٥ — موافقة الحديث لمذهب الراوى وهو متعصب مغال في تعصبه : كأن يروى

رافضى حديثاً في فضائل أهل البيت أو مرجىء حديثاً في الإرجاء مثل ما رواه حبة ابن جوين قال سمعت علياً رضى الله عنه قال عبت الله مع رسوله قبل أن يعبداه أحد من هذه الأمة خمس سنين أو سبع سنين قال ابن حبان كان حبة غالياً في التشيع واهياً في الحديث .

٦ — أن يتضمن الحديث أمراً من شأنه أن تتوفر الدواعى على نقله : لأنه وقع

بمشهد عظيم ثم لا يشتهر ولا يرويه إلا واحد ، وبهذا حكم أهل السنة على حديث غدير خم بالوضع والكذب قال العلماء إن من إمارات الوضع في هذا الحديث أن يصرح بوقوعه على مشهد من الصحابة جميعاً ثم يقع بعد ذلك أن يتفقوا جميعاً على كتمانهم حين استخلاف أبى بكر رضى الله عنه ، ومثل هذا بعيد ومستحيل في العادة والواقع . فانفراد الرافضة بنقل هذا الحديث دون جماهير المسلمين دليل على كذبهم فيه . قال ابن تيمية : ومن هذا الباب نقل النص على خلافة علي ، فإننا نعلم أنه كذب من طرق كثيرة فإن هذا النص لم يبلغه أحد بإسناد صحيح ، فضلاً عن أن يكون متواتراً ، ولا نقل إن أحداً ذكره على جهة الحفاء مع تنازع الناس في الخلافة وتشاورهم فيها يوم السقيفة . وحين موت عمر وحين جعل الأمر شورى بينهم في ستة . ثم لما قتل عثمان واختلف الناس على عليّ فمن المعلوم أن مثل هذا النص لو كان كما تقوله الرافضة من أنه نص على عليّ نصاً جليلاً قاطعاً للعدو وعلمه المسلمون لكان من المعلوم بالضرورة أنه لا بد أن ينقله الناس نقل مثله ، وأنه لا بد أن يذكره كثير من الناس بل أكثرهم في مثل هذه المواطن التي تتوفر لهم على ذكره فيها غاية التوفر ، فانتفاء ما يعلم أنه لازم يقتضى انتفاء ما يعلم أنه ملزوم (١) ؛ وقال ابن حزم : وما وجدنا قط رواية عن أحد في هذا النص المدعى إلا رواية واهية عن مجهول إلى مجهول يكنى أبا الحمراء لا نعرف من هو في الحلق .

٧ — اشتمال الحديث على إفراط في الثواب العظيم : على الفعل الصغير والمبالغة في الوعيد الشديد على الأمر الحقير . وقد أكثر القصّاص من مثل هذا النوع ترقيقاً لقلوب الناس وإثارة لتعجبهم مثل (من صلى الضحى كذا ركعة أعطى ثواب سبعين نبيا) ومثل « من قال لا إله إلا الله خلق الله تعالى له طائراً له سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون له » .

هذه هي أهم القواعد التي وضعها العلماء لنقد الحديث ومعرفة صحيحه من موضوعه ، ومنه ترى أنهم لم يقتصروا في جهدهم على نقد السند فقط ، أو يوجهوا جل عنايتهم إليه دون المتن كما سيأتي في زعم بعض المستشرقين ومشايخهم ، بل كان تقدم منصبا على السند وال متن على السواء ، ولقد رأيت كيف جعلوا أمارات للوضع : أربعا منها في السند وسبعا منها في المتن ولم يكتفوا بهذا بل جعلوا للذوق الفني مجالا في نقد الأحاديث وردّها أو قبولها ، فكثيرا ما ردوا أحاديث لمجرد سماعهم لها لأن ملكتهم الفنية لم تستغفها ولم تقبلها ، ومن هنا كثيرا ما يقولون : هذا الحديث عليه ظلمة أو متنه مظلم أو ينكره القلب أولا تطمئن إليه النفس ؛ وليس ذلك بعجيب فقد قال الربيع بن خيثم : إن من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار نعرفه به وإن من الحديث حديثا له ظلمة كظلمة الليل نعرفه بها^(١) . ويقول ابن الجوزي : الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم وينفر منه قلبه في الغالب وسيأتي معنا مزيد بيان لهذا البحث عند التعرض لشبه المستشرقين وأشياءهم ؟

هكذا ...

روى الربيع بن سليمان : « سمعت الشافعي ، وقد سأله رجل عن مسألة ، فقال يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كنا وكذا ، فقال له يا أبا عبد الله : أتقول بهذا ؟ (أي هل هذا رأيك) فارتعد الشافعي ، واصفر لونه ، وحال وتغير ، وقال . أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أقل : نعم على الرأس والعينين » وكان الشافعي يردد « مهما قلت من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله خلاف ما قلت فالقول ما قال وهو قولني » .

(١) الحاكم في معرفة علوم الحديث ص ٦٢ .

مِنْ عِلْمِ السُّنَّةِ

في البيوع والكسب والمعاش وما يتعلق بالتجارة^(١)

ما جاء في الحث على الكسب وعدم القاعد والترغيب في الحلال

والتنفير من الحرام

(٢)

(٦) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « سَيَكُونُ قَوْمٌ يَا كُلُّونَ بِالسِّنْتِهِمْ كَمَا تَأْكُلُ الْبَقَرَةُ مِنَ الْأَرْضِ ^(٢) » .

وَمِنْ طَرِيقِ ثَانٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ قَوْمٌ يَا كُلُّونَ بِالسِّنْتِهِمْ كَمَا تَأْكُلُ الْبَقَرَةُ بِالسِّنْتِهَا » .

(٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « السَّاعِي ^(٣) عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ كَالَّذِي يَقُومُ اللَّيْلَ وَيُصُومُ النَّهَارَ » .

(١) جاءنا من فضيلة الأستاذ الجليل أن نضيف إلى عنوان « بدائع المن بترتيب مسند الشافعي والسنن » الذي أشرنا إليه في تقديم باب علوم السنة ، « مع شرحه القول الحسن » حيث يوجد كتاب لبعض المتقدمين في ترتيب مسند الشافعي فقط بدون شرح وذلك منعا للالتباس .
« التحرير »

(٢) أي يتخذون أسننتهم ذريعة إلى ما كلهم كما تأخذ البقرة بالسنتها ؛ ووجه الشبه : أنهم لا يهتمون من المأكَل كما أن البقرة لا تتمكن من الاحتشاش إلا بلسانها . ووجه آخر : أنهم لا يميزون بين الحق والباطل والحلال والحرام كما أن البقرة لا تميز في رعيها بين رطب ويابس وحلو ومر بل تلف الكل .

(٣) أي الذي يسعى ويجد في تحصيل المال لينفقه على الأرملة . والأرملة : هي من لا زوج لها .

(٨) عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مَرْثَمَ قَالَ : كَانَتْ لِمُقْدَامِ بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ جَارِيَةً تَبِيعُ اللَّبَنَ وَيَقْبِضُ الْمُقْدَامُ الثَّمَنَ فَقِيلَ لَهُ : سُبْحَانَ اللَّهِ أَتَبِيعُ اللَّبَنَ وَتَقْبِضُ الثَّمَنَ ؟ ! فَقَالَ : نَعَمْ وَمَا بَأْسُ بِذَلِكَ . سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَنْفَعُ فِيهِ إِلَّا الدِّينَارُ وَالْدِرْهَمُ^(١) .

أفضل الكسب البيع وعمل الرجل بيده ومنه كسب ولده

(٩) عَنْ جُمَيْعِ بْنِ عُثَيْرٍ عَنْ خَالِهِ قَالَ : سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَفْضَلِ الْكَسْبِ فَقَالَ : « بَيْعٌ مَبْرُورٌ^(٢) وَعَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ » .

(١٠) وَعَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ .

(١١) عَنْ الْمُقْدَامِ بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاسِطًا يَدَيْهِ يَقُولُ : « مَا أَكَلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ طَعَامًا فِي الدُّنْيَا خَيْرًا لَهُ — وَفِي رَوَايَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ — مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ » .

(١٢) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَإِنْ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ^(٣) » .

وعنها من طريق ثان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَطْيَبِ كَسْبِكُمْ فَكُلُوا مِنْ كَسْبِ أَوْلَادِكُمْ » .

(١٣) عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : أَتَى أَغْرَابِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنَّ أَبِي يُرِيدُ أَنْ يَجْتَاحَ مَالِي . قَالَ : أَنْتَ

(١) أى لا ينفع الناس إلا الكسب إذ لو تركوه لوقعوا في الحرام .

(٢) البيع المبرور : الذى لا شبهة فيه ولا خيانة . وعمل الرجل بيده : كالزراعة والصناعة .

(٣) أى لأن ولد الرجل بعضه وحكم بعضه حكم نفسه ويسمى الولد كسبا مجازاً وذلك لأن والده

سعى في تحصيله . والكسب : الطلب والسعى في الرزق . ونفقة الرجل الفقير واجبة على فرعه .

وَمَا لَكَ لَوَالِدِكَ^(١) إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ وَإِنْ أَمْوَالُ أَوْلَادِكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ فَكُلُوهُ هَنِيئًا .

ما جاء في عطاء السلطان وكسب عمال الصرفة

(١٤) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّعْدِيِّ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلَافَتِهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَلَمْ أُحَدِّثْ أَنَّكَ تَلِي مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ أَعْمَالًا ، فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعَمَلَةَ^(٢) كَرِهْتَهَا ؟ قَالَ فَقُلْتُ : بَلَى ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَمَا تُرِيدُ إِلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ قُلْتُ : إِنْ لِي أَفْرَاسًا^(٣) وَأَعْبُدًا وَأَنَا بِخَيْرٍ ، وَأُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عَمَّائِي صَدَقَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَلَا تَفْعَلْ ، فَأَنَّى قَدْ كُنْتُ أَرَدْتُ الَّذِي أَرَدْتَ فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ فَأَقُولُ : أُعْطِيهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي . حَتَّى أُعْطَانِي مَرَّةً مَالًا فَقُلْتُ : أُعْطِيهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي . قَالَ فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ « خُذْهُ فَنَمُوْلُهُ^(٤) » أَوْ تَصَدَّقْ بِهِ فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ^(٥) وَلَا سَائِلٍ فَخُذْهُ وَمَالًا فَلَا تُتْبِعْهُ^(٦) نَفْسَكَ .

(١٥) عن أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَمْوَالِ السَّلَاطِينِ^(٧) فَقَالَ : « مَا آتَاكَ اللَّهُ مِنْهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلَا إِشْرَافٍ فَكُلْهُ وَنَمُوْلُهُ » وَقَالَ الْحَسَنُ : لَا بَأْسَ بِهَا مَا لَمْ يَرْحَلْ إِلَيْهَا وَيُشْرِفَ لَهَا .

(١) أى لأنه هو السبب في وجوده . ولما له عليه من حق التربية والتكوين حتى صار رجلاً ذا كسب ومال فلا يجوز أن يرضى على والده بما يكفيه من ماله حسب حاله وحال والده

(٢) ومى المال الذى يعطاه العامل على عمله

(٣) جمع فرس للذكر والأنثى . (وأعبداً) : جمع عبد

(٤) أى اجعله لك مالا

(٥) أى غير متطلع إليه ولا طامع فيه

(٦) أى فلا تجعل نفسك تابعة له .

(٧) أى كماله أو هبة أو نحو ذلك

عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « العاَمِلُ في الصَّدَقَةِ بالحقِّ لوجهِ الله عزَّ وجلَّ كالغَازِي في سبيلِ الله عزَّ وجلَّ حتَّى يَرْجِعَ إلى أهله » .

(١٦) عَنْ عَائِدِ بْنِ عَمْرِو عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ عَرَضَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الرِّزْقِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلَا إِشْرَافٍ فَلْيُوسِعْ بِهِ فِي رِزْقِهِ ^(١) ؛ فَإِنْ كَانَ عَنْهُ غَنِيًّا فَلْيُوجِّهْهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنْهُ » .

وَعَنْهُ مِنْ طَرِيقٍ ثَانٍ : قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ آتَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِزْقًا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ فَلْيَقْبَلْهُ » قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ^(٢) : سَأَلْتُ أَبِي مَا الْإِشْرَافُ ؟ قَالَ : تَقُولُ فِي نَفْسِكَ سَيَبْعَثُ إِلَى فُلَانٍ ، سَيَصِلُنِي فُلَانٌ .

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ سَاعِيًا فَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ نَأْكُلَ مِنَ الصَّدَقَةِ فَأَذِنَ لَنَا .

عَنْ ابْنِ شَدَّادٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ وَلِيَ لَنَا عَمَلًا وَلَيْسَ لَهُ مَنْزِلٌ فَلْيَتَّخِذْ مَنْزِلًا أَوْ لَيْسَتْ لَهُ زَوْجَةٌ فَلْيَتَزَوَّجْ أَوْ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَلْيَتَّخِذْ خَادِمًا أَوْ لَيْسَتْ لَهُ دَابَّةٌ فَلْيَتَّخِذْ دَابَّةً ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ غَالٍ » .

وَفِي رِوَايَةٍ : فَهُوَ غَالٍ أَوْ سَارِقٌ .

(١) يعني إن كان فقيراً

(٢) يعني ابن الإمام أحمد رحمه الله .

ركائز دعوة الإسلام

(٢) وحدة أحكامه

رسول وكتاب :

هذه هي الركيزة الثانية من ركائز دعوة الإسلام . . . ، وهي تأتي بين يدي الركيزة الأولى كأعلام الطريق بين يدي الساري ، فإن الله سبحانه الذي يعلم فطرة الإنسان وما جبلت عليه من نوازع الخير والشر وطبيعة الحياة على هذه الأرض وما يختلط فيها من معاني الظلمة والنور : تكفل بمحض فضله ورحمته أن يمد يده لعباده ولا يتركهم حيارى : « فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . فبعث في الناس من أنفسهم رسلاً ، وأنزل عليهم كتباً ترسم للإيمان سبيله وتقيم للحياة الفاضلة موازينها : « لقد أرسلنا رُسُلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » . حتى إذا كان خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم تنزل عليه الوحي بالشرعية الخالدة : « وكذلك أوحينا إليك رُوحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مُستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور » . ولم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى حتى بين للناس ما نزل إليهم وتركهم على المحجة البيضاء والطريق الواضحة وحق شهد الله بتمام ذلك كله : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » . وحق أشهد الرسول ربه وأصحابه في حجة الوداع على ذلك :

« أيها الناس : اسمعوا قولي ، فإنني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً . . . فاعقلوا أيها الناس قولي ، فإنني قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيناً ، كتاب الله وسنة نبيه . . . اللهم هل بلغت ؟ فقال الناس : اللهم نعم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد ! » .
أمانة كاملة :

مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عليين بعد أن بلغ ما أرسل به من ربه ، وتركه أمانة كاملة في أعناق الذين اتبعوه ؛ وقام الخليفة الراشد « أبو بكر » يحملها

ويعضى بها ، فرأينا كيف كان تقديسه لها ورعايته لكل معانيها ، وكيف وقف على مواطناء أقدام النبوة لا يرى في الأرض طريقاً غير طريقها : قام والمسلمون كما يقول عروة ابن الزبير كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبهم صلى الله عليه وسلم وردة من ارتد ، وأراد أبو بكر بالرغم من ذلك أن يبعث جيش أسامة إلى الشام تنفيذاً لرغبة رسول الله ووصيته ، فقام أهل الرأي يقولون : « إن جيش أسامة يضم جل المسلمين والعرب على ما ترى قد انتقضت بك وليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين » . فلم يكن من أبي بكر إلا أن قال : « والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته » . ثم هوذا رضى الله عنه وأرضاه يواجه المرتدين جميعاً كالأسد الهائج وهو يردد : « أينقص الدين وأنا حي ؟ والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . . . والله لأقاتلنهم ما استمسك السيف يدي . . . »

وقد شهد التاريخ كيف كانت عاقبة صدق الخليفة الراشد وغيرته على أمانة الله كاملة : جاء في البداية والنهاية : « كان خروج أسامة في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك ، فساروا لا يمرن بحى من أحياء العرب إلا أربعوا منهم ؛ وقالوا : ما خرج هؤلاء عن قوم إلا وبهم منعة شديدة ، فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه » .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : « والله الذى لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عُبِد الله ، قالها ثلاثاً » .

ورائته :

ولو قدر لأجيال المسلمين المتلاحقة أن تتلقى الإسلام كما تلقاه أبو بكر وأن تغار غيرته على حرمات الله جميعاً ، لظل السراج في أيديهم يرسل نوره ، ولظلوا به على هدى مستقيم : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً » . . . ولكن . . . ولكنهم طال عليهم الأمد فقصت قلوبهم وغشيتهم غواشى الشهوة والجهل والنسيان ، فانطمست المعالم القدسية لدين الله في أنفسهم ورءوسهم ، وباتوا يرثون إسلامهم ورائته من الآباء والأمهات ، وباتت ملايين المسلمين تولد مسلمة قضاء وقدرًا ، وتبقى مسلمة بشهادات الميلاد ، وبما يصل إليها من أمر الإسلام سليماً أو مشوهاً . . . أما الإسلام في ذاته : كما أنزله الله وبلغه رسوله وجاهد في سبيله أبو بكر ؛ فإنك لا تجده في واقع المسلمين ، بل إنه ليدهشك أن تجد الكتاب والسنة محفوظين في مكاتب المسلمين ،

يتغنى بهما ويتبرك بهما ، ثم تراهما في العمل يؤخذ منهما ويترك بالهوى : أذكر أنى كنت أصلى المغرب منذ سنوات في مسجد من مساجد القاهرة ، ثم سمعت بعد الصلاة صوت مدرس يعظ الناس ، فقصدت أستمع مع المستمعين ، فإذا به يفسر حديثاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحذرفيه المسلمين من خمس ، إحداهن الحكم بغير ما أنزل الله ، فقام إليه أحد المستمعين يسأله : وما يفعل الله بحكامنا يا مولانا ؟ فإذا بالأستاذ يغضب وينتهر السائل قائلاً : وما لنا ولحكامنا . . . هذا مدخل الشيطان إلى نفسك . . . نحن إنما نفسر حديثاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

هكذا يفعل بسنة رسول الله ، وأقسم لقد خرجت ساعتها وأنا أحس لعنة الله في المسجد ، وأجد في دمي الفأردوى قول الله عز وجل : « إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » .

اتجاهات مختلفة :

وحتى بين العاملين للإسلام لم يسلم كيانه من التمزيق والتشويه ، فإن أكثر هؤلاء وقفوا ينظرون إلى الإسلام من زوايا مختلفة وتعددوا فرقاً بعدد هذه الزوايا فبعضهم فهموه صوفية وغلبهم هذا المعنى فيه فتصوفوا ، وبعضهم فهموه فلسفة وأخذتهم شباكه ففلسفوا وتكلموا ، وبعضهم فهموه فقهاً فأصلوا وفرعوا وذهبوا مذاهب . وآخرون أخذوه عاطفة تتنازعها وجوه البر حق تغلبها ناحية منها فتبتل لها ، ورأينا من ذلك جماعات البر والإحسان ، وجماعات لدفن الموتى الفقراء ، وجماعات لتحفيظ القرآن ، وجماعات لتيسير الحج وجماعات لغير ذلك من مظان الخير والإحسان ؛ وليس يشك عالم بالإسلام في أن هذه الاتجاهات جميعاً — حين يستقيم منهجها — تلتقى في حجر الإسلام وتنبع من حقائقه النفسية والعلمية ومن أخلاقه العالية . ولكن الذى حدث في تاريخ المسلمين هو أن كل اتجاه من هذه الاتجاهات استبد بأصحابه وقطعهم عن غيرهم وانطلقوا معه ، مع أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخذ هذا الدين هى القصد والاعتدال : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » — وكان من ذلك أن أصبحت نظرة الصوفى الصالح إلى غيره أنهم محرومون محجوبون ، وأن أشهر علماء الكلام بالزيغ والإلحاد ، وأن اتسعت علوم الفقه وتشعبت نواحيه حتى أصبح فناً يقصد لذاته ، وربما تقاطعت القلوب وتنافرت بسبب خلاف على سنة مع أن الأخوة في دين الله فريضة ، هذه القطيعة التى أحدثتها غلبة هذه الاتجاهات على أصحابها واستبدادها

بهم ، كانت الثغرة التي نفذت منها الثقافات الدخيلة على الإسلام فوجدت طريقها سهلاً في كل اتجاه منها ووجدت أصحابها كالمعتصم بزاوية بين جدارين من بيت عتيق تهدمت كل نواحيه ، فما أسهل أن يُؤتى من كل ناحية ١١ بل ما أسهل أن يدفن حياً في زاويته النائية ١١ — كما كانت هذه القطيعة السلاح الرهيب الذي استعان به أعداء الإسلام في تمزيق شمل الأمة الإسلامية ومكّنوا به للفكرة الوطنية والقومية الدخيلة على روح الأخوة العامة بين المسلمين .

أصيب الإسلام بهذا الغزو الثقافي الحبيث الذي شوه معانيه ، وأصيب المسلمون بهذه الفرقة التي أصبحوا بها طرقات وفرقا وجماعات ومذاهب ، فغابت وحدة الإسلام في ذاته وتبددت وحدة المسلمين .

دين وسياسة :

على أن أخطر ما نكبنا به في وعشاء هذا التيه هو اضطراب ميزان الفهم والتقدير في أنفس كثير من المسلمين ، واختلاط الأمر عليهم كلا دعاهم إلى الإسلام الصحيح ؛ وقد تعثرت من جراء ذلك محاولات كثيرة للإصلاح لقيت العنت من المسلمين قبل غير المسلمين ، وقاست المر في الوصول إلى قلوب المسلمين وعقولهم ، ولم تكن العقبة الأولى في طريقها إلا الحدود العجيبة التي قامت في أذهان كثير من الناس بين معاني الإسلام ، وأعجبها هذه الحدود التي جعلوها بين ما أسموه ديناً وما أسموه سياسة ، وبين المشايخ والساسة ، وذهبوا في ذلك إلى أن من اشتغل بالدين حرمت عليه السياسة . فأنما مثلاً محامٍ درست القانون ، وهي دراسة مدنية — لا دينية — تجعل لي في مقاييسهم الحق في « احترام » السياسة ، حتى إذا تديننت وعرفت أحكام الله وقت أدعو إليها لم يجز لي بعد ذلك أن أظل سياسياً ، بل على أن أترك السياسة حينئذ لأهلها كأن شرطها ألا يكون لأهلها دين ، أو كأن التدين لا يجوز إلا أن يكون مغفلاً لا يفقه في شئون الأمة شيئاً . ولست أدري كيف يسوغ أن تروج هذه البدعة « بدعة دين وسياسة » في قوم يجعل نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم رباط ساعة في سبيل الله خيراً من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود ، ويجعل لمن بات يحرس ليله من وراء المسلمين أجر من خلفه بمن صام وصلى ، ويجعل إماطة الأذى عن الطريق شعبة من الإيمان ١١ لكنها راجت ، واشتد رواجها ، في كل مكان من بلاد المسلمين ومكّن لها تقصير أهل العلم بأحكام الإسلام في تبليغ ما يعلمون ، سواء أكان سبب ذلك خوفهم من الأحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله ، أو يأسهم من الإصلاح بعد أن استشرى الفساد

أوجهلهم هم روح الإسلام ، أوعثم أسلوبهم في الدعوة والتعليم إزاء الصليبية الساهرة التي استعملت الحكومات الاستعمارية المسيحية في صياغة مناهج دراسية معينة في الأقطار التي استعمرتها ، فكان من بعض آثارها في تدريس تاريخ أوروبا ترسب فكرة الفصل بين الكنيسة والدولة في رؤوس شبابنا المثقف وكان هذا الشباب معذوراً حين ترجم ذلك إلى الفصل بين المسجد والدولة ، أي بين الدين والسياسة ، ولم يجد من يعلمه أن المسجد غير الكنيسة وأن القرآن غير الانجيل — مع احترامنا للأديان جميعاً — وأن حكم الإسلام ليس حكم قديسين يوحى إليهم ويتخذون أرباباً من دون الله ، فقد انقطع الوحي بعد النبي صلى الله عليه وسلم . وأصبح المؤمنون لا يمتاز بعضهم عن بعض في فهم نصوص الإسلام إلا بقدر ما يدرسون ويعقلون ؛ وليس حكم رهبانة يفرون من الحياة ، فإن الإسلام جعل الدنيا كلها محراباً واسعاً يعبد الله فيه بكل حركة « إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين » وليس رسالة نظرية تنزل بها جبريل من فوق سبع سموات حتى يتلذذ الناس بتأملها والتفكير فيها والتشديق بألفاظها ولكنها زلت كما قال الله الذي أنزلها « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » ... ولقد رأينا كيف كان المسلم الأول صلى الله عليه وسلم إنساناً حياً يتجاوب مع كل معاني الحياة بأخلاق دعوته ، فهو في نفسه القدوة العالية في روعة الصلاة بالله : كان يعبد الله بقدر علمه به ، وكان يقول « لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولما تلذذتم بالنساء على الفراش » ؛ وهو مع أهله كما يقول الأثر « أرق الناس هيناً ليناً بساماً » ، وكان يقول « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » . وهو مع الناس جميعاً « وسع الناس بسطه وخلقه حق صار لهم أبوا صاروا عنده في الحق سواء » ، وهو في قضائه حين يقضى المثال العالي الحازم في العدل وذلك رده للذي قاله : أعدل يا محمد : « ويحك ! ومن لم يعدل إن لم أعدل : خبت وخسرت إن لم أعدل » ؛ وهو في سياسته السياسية الداهية الذي غلب ساسة قريش بصلح الحديبية ، وهو في حكمه الحاكم الذي لا يُنال بحيلة ولا يُؤتى من ضعف ... وقد رأينا غضبته يوم جاءه جبه أسامة يناشده في امرأة مخزومية سارقة وقوله له « أنشفع في حد من حدود الله ؟ » ... — ثم قوله للناس « أيها الناس : إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد (١) » « والذي نفسي بيده لو سرق فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » ؛ وهو صلى الله عليه وسلم في شجاعته وجهاده البطل الصنديد الذي يفر الناس يوم أحد ويبقى هو في مكانه لا يجاوزه شبرا « إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم عن عائشة رضي الله عنها

أخراكم» ، والذي يقول عنه أصحابه « كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا رسول الله فيكون أقربنا إلى العدو » : فزع أهل المدينة ذات ليلة فخرج بعض الناس يستجلون الخبر فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم راجع على فرس عرى لأبي طلحة يقول « لا ترأعوا » .

هكذا كان داعية الإسلام الأول : إنسانا حيا يتجاوب مع كل معاني الحياة بأخلاق دعوته ، وقد أمر المسلمون أن يتخذوا حياتهم نهجا ينتهجونه « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

مثل حاضر :

ومثلنا الحاضر على ما أصاب الحركات الإسلامية بسبب اضطراب فهم المسلمين للإسلام هو ما أصاب « الإخوان المسلمين » في مصر ، فإن ذنبهم الأكبر الذي أخذوا به كان كما جاء في الأمر العسكري بحل جماعة الإخوان — وهو الأمر الذي ألغى القضاء أخيراً — خلطهم الدين بما ليس فيه : من سياسة وتدريب عسكري ومحاولة لتغيير نظام الحكم ، مع أن الإمام الشهيد الأستاذ حسن البنا رضوان الله عليه قد فصل أصول هذه الحركة تفصيلاً واضحاً منذ أربعة عشر عاماً ، حين قال في المؤتمر الخامس سنة ١٣٥٧ :

(تستطيع أن تقول ولا حرج عليك إن « الإخوان المسلمين » :

(١) دعوة سلفية : لأنهم يدعون إلى العودة بالإسلام إلى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله .

(٢) وطريقة سنية : لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنة المطهرة في كل شيء ، وبخاصة في العقائد والعبادات ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

(٣) وحقيقة سوفية : لأنهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس وتقائه القلب والمواظبة على العمل والإعراض عن الخلق والحب في الله والارتباط على الخير .

(٤) وهيتة سياسية : لأنهم يطالبون بإصلاح الحكم في الداخل وتعديل النظر في صلة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم في الخارج وتربية الشعب على العزة والكرامة إلى أبعد حد .

(٥) وجماعة رياضية : لأنهم يعنون بحسومهم ، ويعلمون أن المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف وأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إن لبدنك عليك حقاً » وأن تكاليف الإسلام كلها لا يمكن أن تؤدي كاملة صحيحة إلا بالجسم القوى ،

فالصلاة والصوم والحج والزكاة لا بد لها من جسم يحتمل أعباء الكسب والعمل والكفاح في طلب الرزق ، ولأنهم تبعاً لذلك يعنون بتشكيلاتهم وفرقهم الرياضية عناية تضارع وربما فاقت كثيراً من الأندية المتخصصة بالرياضة البدنية وحدها .

(٦) ورابطة علمية ثقافية : لأن الإسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ولأن أندية الإخوان هي في الواقع مدارس للتعليم والتثقيف ومعاهد لتربية الجسم والعقل والروح .

(٧) وشركة اقتصادية : لأن الإسلام يعنى بتدبير المال وكسبه من وجهه وهو الذي يقول نبيه صلى الله عليه وسلم : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » ويقول : « من أمسى كالاّ من عمل يده أمسى مغفوراً له » ، « إن الله يحب المؤمن المحترف » .

(٨) وفكرة اجتماعية : لأنهم يعنون بأدواء المجتمع الإسلامي ، ويحاولون الوصول إلى طرق علاجها وشفاء الأمة منها .

وهكذا ترى أن شمول معنى الإسلام قد أ كسب فكرتنا شمولاً لكل مناحي الإصلاح ووجه نشاط الإخوان إلى كل هذه النواحي وهم في الوقت الذي يتجه فيه غيرهم إلى ناحية واحدة دون غيرها يتجهون إليها جميعاً ويعلمون أن الإسلام يطالبهم بها جميعاً .

ومن هنا كان كثير من مظاهر أعمال الإخوان يبدو أمام الناس متناقضاً وما هو بمتناقض . فقد يرى الناس الأخ المسلم في المحراب خاشعاً متبتلياً يكي ويتذلل ، وبعد قليل يكون هو بعينه واعظاً مدرسا يقرع الآذان بزواج الوعظ ، وبعد قليل تراه نفسه رياضياً أنيقاً يرمى بالكرة أو يدرب على العدو أو يمارس السباحة ، وبعد فترة يكون هو بعينه في متجره أو معمله يزاول صناعته في أمانة وفي إخلاص ، هذه مظاهر قد يراها الناس متنافرة لا يلتئم بعضها ببعض ، ولو علموا أنها جميعاً يجمعها الإسلام ويأمر بها الإسلام ويحض عليها الإسلام لتحقيقوا فيها مظاهر الالتئام ومعاني الانسجام — ومع هذا الشمول فقد اجتنب الإخوان كل ما يؤخذ على هذه النواحي من المآخذ ومواطن النقد والتقصير ، كما اجتنبوا التعصب للأقارب إذ جمعهم الإسلام الجامع حول لقب واحد هو « الإخوان المسلمون » (

أليس عجيباً أن يلتقي هذا الداعية الواضح الواعي مصرعه على يد تنتسب للإسلام ؟ وأن يُسفك دمه في قلب القاهرة في مؤامرة مدبرة نكراء ؟ وأن يقبض على كل من

ظفرت من عينيه دمة الفجيعة وهو يرى جثائه الطاهر في طريقه إلى قبره محوطاً بالبوليس المدجج بالسلاح ؟ ؟

أو ليس أعجب منه أن يقف ممثل النيابة المسلم في قضية سيارة الجيب (١) ليطالب برؤوس عشرات من تلامذة هذا الإمام الشهيد وأن تكون حجته عليهم « أن هؤلاء المجرمين .. أرادوا قلب نظام الحكم القائم ليحلوا محله حكم الخلفاء الراشدين ١١ » فضجت قاعة المحكمة بالضحك ، وهذا أدرك ممثل النيابة أنها ليست جريمة ... فاستدرك : أعنى الحكم الجمهورى ١١

ولكن دعوة الإخوان المسلمين استطاعت بالرغم من كل ما وضع في طريقها من عقبات أن تنتصر فأخرجت رجالها من السجون ، وألغت أمر « الحل الرسمى » وعادت سيرتها الأولى أنصع صفحة وأوفر جمعا . ولم يكن سر نصرها — بعد تأييد الله — إلا التكامل في أخذ معانى الاسلام والقوة فيها جميعا فلم يجد أعداؤهم ثغرة ينفذون إليهم منها ، بل وجدوا أنفسهم إزاء حصن حصين أعد لكل شيء عدته وقام على أساس وطيد تراه في مثل كلمات إمامهم الشهيد رضى الله عنه وأرضاه :

أيها الإخوان المسلمون ، اسمعوا :

أردت بهذه الكلمات أن أضع فكرتكم أمام أنظاركم فلعل ساعات عصيبة تنتظرنا يحال فيها بينى وبينكم إلى حين ؛ فلا أستطيع أن أتحدث معكم أو أكتب إليكم ، فأوصيكم أن تدبروا هذه الكلمات ، وأن تحفظوها إذا استطعتم وأن تجتمعوا عليها ، وإن تحت كل كلمة لمعانى جمة .

أيها الإخوان : أنتم لستم جمعية خيرية ولا حزبا سياسيا ولا هيئة موضعية الأغراض محدودة المقاصد . ولكنكم روح جديد يسرى في قلب هذه الأمة فيحييه بالقرآن ، ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله وصوت داو يعلو مردداً دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ ومن الحق الذى لا غلو فيه أن تشعروا أنكم تحملون هذا العبء بعد أن تخلى عنه الناس . إذا قيل لكم إلام تدعون ؟ فقولوا ندعو إلى الاسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والحكومة جزء منه والحرية فريضة من فرائضه ، فإن قيل لكم هذه سياسة ! فقولوا هذا هو الاسلام ونحن لا نعرف هذه الأقسام ؛ وإن قيل لكم أنتم دعاة ثورة ! فقولوا نحن دعاة حق وسلام نعتقده ونعتز به ،

(١) هى القضية التى اتهم فيها الإخوان بمحاولة قلب نظام الحكم وبرأهم القضاء منها .

فإن ثرتم علينا ووقفتم في طريق دعوتنا فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسنا وكنتم التأثيرين الظالمين . وإن قيل لكم إنكم تستعينون بالأشخاص والهيئات فقولوا : « آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنتم به مشركين . . فإن لجوا في عدوانهم فقولوا « سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين » ١ .

وحدة تستلزمها طبيعة الاسلام :

وحدة أحكام الإسلام التي مزقتها هذه الحدود والاتجاهات المختلفة ، صفة تستلزمها طبيعة الإسلام وهي طبيعة يمكن أن نقرأها في عنصرين :

١ — وحدة المصدر : مرد أحكام الإسلام كلها إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكتاب الله هو التنزيل الكريم : « إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً . وسنة رسول الله هي المأثور عنه في تبليغ رسالة ربه من قول أو فعل أو تقرير ، وقد أمرنا الله في ذلك أمراً بيناً : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » . « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

وشأن المؤمن الصادق مع الكتاب والسنة لا يجوز إلا أن يكون كما قال الله : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً » . فكيف يكون حكمه إذا أخذ من أحكامها حكماً وترك حكماً ؟ إنه إما الضلال المبين ، وإما الكفر الصراح : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون » .

وإنك تقرأ تحذير الله لنبيه : « واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك » وتأخذك الرعدة من قوله : « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف المات ثم لا تجد لك علينا نصيراً » .

إن برهان صدق المؤمن أن يكون دائماً حيث يحب الله أن يراه ، وأن يسارع في كل أمره بحبيب داعي الله « إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون . ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » — ولذلك تجد خطاب التشريع في كتاب الله : « يا أيها الذين آمنوا » : فوصف الإيمان في أصحابه هو أساس التكليف ، وهو الأمر الذي تعرفهم

السماء وتناديهم به ، وتجعله الوازع العميق في أنفسهم والحارس الأول على أمر الله فيها ،
واقراً معي إن شئت :

« يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة . . . »

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى . . . »

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام . . . »

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا . . . »

« يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه . . . »

« يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل . . . »

« يا أيها الذين آمنوا إنما الحمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل

الشیطان فاجتنبوه . . . »

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر

على الإيمان . . . »

وإنك لتقرأ القرآن في نور هذا المعنى فيأخذك أسلوبه الإلهي القاهر في مخاطبة
هذا الإيمان . . . وفي دأبه على تحريكه واستثارته وتركته : فهو حين يشرع مناسك
الحج يردفها بقوله : « واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون » . وحين يفق في
الإنفاق يعقب بقوله : « وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم » . وحين يفرض
القتال يقول : « والله يعلم وأنتم لا تعلمون » . وحين يسرد أحكام النكاح
يقول : « ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم . أولئك يدعون إلى النار
والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون » . ويقول :
« واتقوا الله واعلموا أنكم ملائكة وبشر المؤمنين » . ويقول بعد الطلاق والرجعة :
« ذلكم يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر » .
ويقول بعد آداب الخطبة : « واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا
أن الله غفورٌ حلیم » . وبعد حد الزنا يقول : « ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله
إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » . وبعد حد السرقة يقول : « نكالا من الله
والله عزيزٌ حكيم » . ويؤدب القاتلين على الثبات بقوله : « ومن يولهم يومئذ دبره
إلا متحرراً لقّالاً أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير »
وفي الحث على القتال : « أنخشونهم ؟ فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين » .
وفي رعاية العهد : « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين » . و . . و . .

وهكذا تجدد الأسلوب الإلهي في التشريع يُذكر دائماً بالله الذي أحكمه وفصله وأنزله : « كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ » . « وإِنَّكَ لَتَلْتَقِي الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ » ليستثير بالذكور روح الإيمان في الناس ، تارة بالترغيب في مرضاته ورحمته ، وتارة بالترهيب من غضبه وعذابه ؛ واللجنة والنار قائمتان تنتظران أهلها ، وليس بين الناس وبينهما إلا سكرة الموت بالحق ، ثم حساب بين يدي الله عسير وسؤال للناس عما فعلوا بالله أنزل إليهم : « فلنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ » .

فنطق الإيمان الصحيح إذاً أن ينفذ المؤمنون أحكام الله جميعاً ولا يحيدوا عن حكم منها — أما إسلام الأسماء والمظاهر وشهادات الميلاد فحسب أصحابه نذير قول الله عز وجل : « وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ » .

٣ — وحدة النفس الإنسانية :

هدف الشرائع الإلهية جميعاً هو « النفس الإنسانية » : أي حقيقة الإنسان في أعماقه التي لا يراها غير صاحبها وعين الله الناضرة إليه ، والتي تنبعث منها خواطر الخير والشر ؛ وتكون من عندها الحركة الأولى نحو الخير أو نحو الجريمة : « وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا » .

وكل ما سوى ذلك من خلق الله الواسع — بالنسبة لهذه النفس — أدوات امتحان وميدان معركة ، حقيقة الفلاح معها أن تبقى النفس زكية طاهرة : « قد أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا » . وحقيقة الفوز في نهايتها أن تنادى بالنداء القدسي الجميل : « يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمِئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي » .

ولقد جاء الإسلام خاتماً لهذه الشرائع ، يضع للنفس الإنسانية المنهج الخالد للحياة الطاهرة الزكية إلى يوم ينفخ في الصور وتبدل الأرض غير الأرض والسموات وأساس هذا المنهج ليس القرار من تبعات الحياة على « أرض الله » ، ولكن أساسه مواجهتها وحملها والسير إلى الله بها : « إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ » . ومن هنا كانت صناعة الأخلاق الفاضلة عملاً رئيسياً تروّض له النفس في شئون الحياة جميعاً ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ ^(١) » .

(١) الإمام أحمد عن أبي هريرة .

ويقول : « إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها (١) » .

ومن هنا أيضاً كان تنظيم شئون الحياة المختلفة بحيث تعين على الاحتفاظ بأخلاقه العالية أمراً تستوجبه طبيعة الإسلام ، وأصبح من الضروري أن تكون العلاقة بين المسجد والبيت والشارع والمدرسة والصحافة والسينما والمحكمة والسوق التجارية والمصنع والمزرعة والسياسة في الداخل والخارج وشئون السلم والحرب ، علاقة انسجام وتعاون على « الخلق الرفيع » ، لعلاقة خصام وتدابير وتنافر . . . والوحدة الأخلاقية بين هذه كلها — فضلاً عن أنها علامة الصدق على إسلام الأمة واتجاهها إلى الله — هي الضمان الرئيسي لبقاء كل فرد في نفسه مسلماً ، فإن للمسلم نفساً واحدة يدخل بها المسجد ويدرس بها في المدرسة ويقرأ بها الصحيفة ويمشي بها في الشارع ويعمل بها ويتاجر بها ويسوس بها ، ولن يستطيع أن يعيش مسلماً إذا تخلفت مناهج الدراسة والصحافة والشارع وسوق التجارة والسياسة عن أخلاق الإسلام ، ولن يغنى المسلم في حسابه بين يدي الله أن يعتذر بدروس المسجد وأمانى الخير ودموع الحسرة على حال الإسلام والمسلمين ، فإن ميزان الله لا يعرف علماً بغير عمل ، وحسبنا في ذلك ما رواه صاحب المواقفات في الحديث الصحيح عن عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول عبد الرحمن بن غنم : خرج علينا رسول الله ونحن جلوس (ندرس) في مسجد قباء فقال : « تعلموا ماشئتم أن تعلموا فإن الله لن يأجركم حتى تعملوا » ولا عذر للناس بعد أن أقام الله موازين العمل في أحكام هذا الدين ، وجعلها أحكاماً كلية لا ضيق معها ولا حرج : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » .

ثم إنك إذا أضفت إلى وحدة النفس الإنسانية في تفاعلهما مع شئون حياتها المختلفة ، طبيعة الحياة الاجتماعية في تشابك هذه الشئون ، رأيت كيف تستحكم حلقات الوحدة بين أحكام الإسلام جميعاً . إن الإسلام يقطع يد السارق ، وهذا نص جنائي ، ولكنه لا يقطع يد السارق الجائع . . . إنه قبل ذلك يكفل له التعليم الذي يبين له أمر الله والمطعم والسكن والملبس والتطبيب التي يعتبرها حاجات ضرورية لا تقوم الحياة الإنسانية إلا بها وحدها أدنى لا يجوز أن تنزل حياة كل قاطن لدار الإسلام عنه ، ويفرض على الحاكم المسلم أن يحقق ذلك لكل فرد إما بعمله أو بالزكاة إذا لم يجد عملاً أو كان غير قادر على العمل أو كان دخل عمله لا يكفيه . . . فإذا لم تقم الزكاة بهذه الحاجات جميعاً كان له أن يأخذ من أموال الأغنياء ما يكفي . . . وهكذا ترى ارتباط « النص الجنائي »

في حد السرقة « بالتنظيم الاجتماعى » في شئون الأمة « بعدالة التوزيع في الاقتصاد »
 « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا »
الرحمة في الصلوة :

وجميل أن يلتفت المسلم إلى صورة هذه الوحدة في صلواته كل يوم وليلة . . . فهو
 ذا قائم في المحراب يناجى ربه ، حتى إذا أشرق قلبه بمعانى فاتحة الكتاب ، وشرع
 يقرأ ما تيسر من القرآن . . . رأيت يقرأ مرة آيات في التقوى وحسن الخلق ، ومرة
 أخرى آيات في الوصية والميراث ، وثالثة في القانون المدنى ، ورابعة في القانون الجنائى ،
 وخامسة في أحكام القتال والصلح والمعاهدات . . . والمسلم الذى يقرأ كل ذلك هو هو
 لم يتغير ، وكل ذلك قرآن ، أنزله الله الذى يقبل عليه بصلاته ويسجد خاشعا لجلاله
 « قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض » .

نصيحة للدعاة :

فعلى دعاة الاسلام وهم يدعون الناس إلى الأخذ بشريعة الإسلام مجتمعة أن يذكرهم
 بالله الذى أنزلها حتى يستشعروا رهبتها وجسامتها المخالفة عنها ، وعليهم مع ذلك أن
 يذكرهم بأنفسهم وكرامتها على الله ونظره إليها ، وبمهمتهم في تشييد صرح الحياة الفاضلة
 وإسلام أوضاعهم كلها لأمر الله ، وأن يضربوا الأمثال للتشابه الطبعى بين مختلف
 شئون الحياة ، وكيف عاجلها الإسلام جميعا ، حتى تتصل الدعوة النظرية في كل منهم
 بسبب عملى . . . وعلى الدعاة فى كل ذلك أن يلجأوا إلى سيرة المسلم الأول صلى الله
 عليه وسلم يستمدون منها الصورة العملية لكل معنى يدعون الناس إليه ، فقد كان
 الهيكل الكريم الذى انتصبت عليه أركان الدين كله فعاشت به فى الناس مثلا كاملا
 يراه الناس فى لحم ودم ، وعاش بها « إنسانا حيا يتجاوب مع شئون الحياة كلها بأخلاق
 دعوته » — وقبل ذلك كله ومعه وأهم منه : أن يكون هؤلاء الدعاة أنفسهم مُثُلا
 كريمة للدعوة حيث كانوا ، وأن تكون حياتهم كلها — فى أنفسهم وبيوتهم وشئون
 معاشهم — وحدة يحكمها أمر الله .

الفرس بين النهير والنوريل ١١

لا تفوتك قراءتها فى باب « فى أفق العالم الإسلامى »

في لفقه الإسلامى

الطابع العام للشريعة الإسلامية

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية المساعد بكلية الحقوق بجامعة فؤاد

جاء الإسلام بعد أن استنفذ كل من الأديان السابقة أغراضه ، وصارت الإنسانية مستعدة لتقبله ، وأحسَّت بالحاجة الملحة لرسالة سماوية جديدة تكون خاتمة الرسالات جميعا ، وتشوِّفت لدين جديد يسير بها قُدُماً إلى حياة العز والكرامة والسعادة ، لافرق بين جنس وجنس وأمة وأخرى . فهو لم يحىء لإسعاد فرد أو طائفة من الناس على حساب آخرين من إخوانهم في الدين أو الإنسانية بعامة ، بل ليفهم الجميع بأنه ليس للناس جميعاً إلا إله واحد والعالم كله تبعده ؛ وإذا فلا ضرر ولا ضرار ، ويجب أن تكون الحقوق التي تمنح للأفراد وسيلة للصالح العام وإسعاد المجموع .

من أجل ذلك ، نجد الطابع العام للشريعة الإسلامية طابع جماعى لا فردى . ونقول : « جماعى » لا « اشتراكى » لأن كلمة « اشتراكى » أخذت في هذه الأيام معنى خاصاً حددها أو قصرها على الناحية المالية ، ونحن نريد « بالجماعية » معنى أوسع يتناول الناحية المالية وغيرها حتى ليعمَّ الحقوق والواجبات جميعاً .

وهذا الطابع الجماعى للتشريع نجده واضحاً فيما جاء به الإسلام من عبادات ، كما هو واضح فيما أتى به من أحكام المعاملات التي نراها في الحياة العملية . فكل هذه التشريعات في هاتين الناحيتين تهدف لتهديب الفرد وصالحه والصالح العام للمجتمع عامة . والمثل لذلك واضحة ندركها جميعاً وتكفيها فيها الإشارة ؛ فنشير مثلاً إلى حكمة شرعية الصلاة والصوم والزكاة ، وحلِّ البيع وتحريم الربا ، والأمر برعاية الجار والوفاء بالعقود ، وتحليل الزواج لإنشاء الأسرة وتحريم الزنا ، وإقامة الحدود صيانة للمجتمع ، إلى آخر ما نعرف من الأحكام التي جاءت بالأمر والنهى والحلِّ والحرمه .

وبعد هذا التعميم لابد من التخصيص ، وذلك بالإتيان ببعض المثل المحددة الواضحة الدلالة على ما نقول ، نعى أن الطابع العام للتشريع الإسلامى هو الطابع الجماعى لا الفردى :

١ - من حق الزوج أن تكون زوجته في طاعته لتكون سكناً له وليثمر الزواج ثمراته المنشودة منه ؛ ولكن هذا الحق مقيد بالألا يكون في استعماله ضرر للزوجة ، وإلا مُنِع منه أو حد القاضي من استعماله ، حتى ليكون للزوجة في بعض حالات الضرر طلب التطلاق منه . ومن ثمَّ ، يقول الله تعالى حكمته في سورة النساء : « فَاُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضُرَّاراً لِّتَعْتَدُوا » وهذا الأمر وإن كان جاء حالة التطلاق ، إلا أنه هو القاعدة حالة قيام الزواج أيضاً .

٢ - من حق الحكام أن تسمع لهم الرعية ويطيعهم الشعب ، ولكن ذلك مشروط بأن يصدروا في حكمهم وسياساتهم للأمة عن المصلحة العامة ، وفي هذا نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « السمع والطاعة على المرء فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » . وهذا الحديث تجده في مسند الإمام أحمد بن حنبل ، كما رواه البخاري أيضاً من طرق عديدة . وهو ، كما نرى ، أصل له خطره الكبير من أصول الحكم ، إذ أنه يحدد في دقة تامة سلطة الحاكم وحقوق المحكوم ، وفي اتباعه مصلحة الأمة جميعاً .

٣ - روى عن أبي عبيدة بن الجراح أن رجلاً من أهل البادية سأله أن يرزقهم ، فقال : لا ، والله لا أرزقهم حتى أرزق أهل الحاضرة ، فمن أراد بحبحة الجنة فعليه بالجماعة . وبمثل هذا كتب عمر بن عبدالعزيز إلى يزيد بن الحصين يقول : « مر للجند بالفريضة ، وعليك بأهل الحاضرة ، وإياك والأعراب فإنهم لا يحضرون محاضر المسلمين ولا يشهدون مشاهدتهم » .

وهنا يقول راوى هذين الخبرين أبو عبيدة القاسم بن سلام المتوفى عام ٢٢٤ (كتاب الأموال ص ٢٢٧ - ٢٢٨) : بأنه ليس وجبه هذا أنهم لم يكونوا يرون لأهل البادية حقاً في الفبيء ، ولكنهم أرادوا أنه لا فريضة لهم راتبة تجري عليهم من المال كأهل الحاضرة الذين يجامعون المسلمين على أمورهم ، ويعينونهم على عدوهم بالنفس أو المال ، مع معونتهم على إقامة الحدود وحضور الأعياد والجمع وتعليم الخير . أما أهل البادية ، فلمهم على الأمة المعونة في أوقات الشدة ، كما إذا أصابهم جائحة في أرزاقهم أو دهمهم عدو مثلاً .

٤ - يروى الإمام أبو يوسف في كتابه الخراج (ص ١٤ - ١٥ من الطبعة الأميرية) أنه لما فتح الله العراق والشام على المسلمين في أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أراد فريق كبير من الصحابة قسمة الأرض وما عليها بين المسلمين أصحاب الحق

بحكم الفتح ، لكن الفاروق رأى أن يترك الأرض بيد مُلّاكها على أن يدفعوا الحراج والجزية ، وكان من كلامه في هذا : « والله لا يُفتح بعدى بلد فيكون فيه كبير نيل ، بل عسى أن يكون كلاً على المسلمين . فإذا قسمت أرض العراق بعُلُوجِها وأرض الشام بعُلُوجِها ، فما يُسدّ به الثغور ، وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره من أهل الشام والعراق ... أرايتم هذه الثغور لا بدّ لها من رجال يلزمونها ، أرايتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة لا بدّ لها من أن تُسجن بالجيوش وإدراج العطاء عليهم ، فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرض والعُلُوج ؟ فقالوا جميعاً الرأى رأيك ، فنعّم ما قلت وما رأيت » . وكان هذا الرأى توفيقاً من الله لعمر بن الخطاب كما عوّده في كثير من الحالات .

٥ — ومن المعروف أن المالك الحق في أن يتصرف في ملكه كما يشاء ومن ذلك حق البيع لمن يريد ، كما أن للمشتري الحق في أن يشتري ما يشاء إذا رضى مالسه ببيع له ، ومع هذا فقد شرع الله حق الشفعة للشريك أو الجار على ما هو معروف ، فيكون له تملك ما اشتراه الأجنبي جبراً عنه وعن المالك الذي باعه له ، وذلك لأن الحقوق لم يشرعها الله لضرر الغير بلا سبب أو ضرورة .

إن الشريعة الإسلامية تحفظ الحق لصاحبه بلا ريب ، وتبيح له استعماله كما يريد ، بل وتزيد عن هذا وذلك أنها تحميه له من اعتداء الغير . ولكن بجانب هذا كله ، تعمل من ناحية أخرى على ألا يُضارّ الغير باستعمال صاحب الحق حقه ضرراً يكون أكبر من الحدّ من حرية صاحب الحق ، وذلك تطبيقاً لقاعدة : لا ضرر ولا ضرار ، ودفعاً لأكبر الضررين بالأخف منهما . فهاتان القاعدتان تحكمان استعمال الحقوق ، وفي تطبيقهما تحقيق لصالح صاحب الحق ولصالح الغير أيضاً .

٦ — ومن أجل هذا ، ترى الشريعة تقرر حق الشفة ، أى حق شرب الإنسان والسّم والدواب من العين أو البئر أو القناة من الماء تكون ملكاً خاصاً بأحد من الناس . فليس لهذا المالك أن يمنع ابن السبيل من أن يشرب منها ويسقى دابته كذلك منها .

وفي هذا يروى التاريخ حديث عمر بن الخطاب (رضى الله عنه وأرضاه فقد كان دائماً الفاروق بحق) في القوم السّفَر الذين وردوا ماء فطلبوا من أهله السماح لهم بالشرب منه وسقى دوابهم فأبوا ، فقالوا لهم إن أعناقنا وأعناق مطايانا قد كادت تنقطع من العطش ، فأبوا عليهم أيضاً إسعافهم بحاجتهم من الماء ، فلما رجعوا وذكروا ذلك للفاروق قال : هلاّ وضعتم فيهم السلاح ! (كتاب الحراج لأبي يوسف ص ٥٥) .

وقريب من ذلك ما رواه يحيى بن آدم القرشي المتوفى سنة ٢٠٢ (كتاب الخراج طبعة المطبعة السلفية ص ١١١) ، أن رجلاً أتى أهل ماء فاستسقام فلم يسقوه حتى مات عطشاً ، فألزمهم عمر بن الخطاب ديتة ، ولم يمنعه من ذلك أنهم منعوا ما يملكون .

٧ — ومن المسلم به شرعاً وقانوناً أن مالك الأرض له أن يتصرف كل تصرف يكسبه إياه حق الملكية ، ومن ذلك أن ينتفع بها سواء بغير إذنه على أي نحو كان هذا الانتفاع . لكن الشريعة أباحت لكل إنسان أن ينتفع بما فيها من كلاً مباح فله أن ينزل بها ليصيب منه حاجته ، كما أباحت للغير أن يمرّ بها ليستقي لنفسه ودوابه مما يكون بها من مجارى المياه ، اللهم إلا إذا أخرج له المالك حاجته من السكّال أو المياه ليمنع من النزول بها .

بل إن للغير أحياناً الحق في أن يحفر فيها مجرى ماء ليروى منه أرضه البعيدة عن مصدر الماء . لقد روى يحيى بن آدم القرشي في كتابه المذكور آنفاً (ص ١١٠ — ١١٢) بطرق مختلفة أنه كان للضحّاك بن خليفة الأنصاري أرض لا يصل إليها الماء إلا إذا مرّ ببستان لمحمد بن مسلمة ، فأبى محمد هذا أن يدع الماء يمرّ بأرضه ، فأبى الضحّاك عمر فذكر له ذلك ، فقال عمر لابن مسلمة : أعليك فيه ضرر ؟ قال : لا ، فقال له : فوالله لو لم أجد له ممراً إلا على بطنك لأمررتّه . وكان أن نقض ما قضى به الفاروق ، وكان في هذا القضاء مصلحة للاثنتين معا ؛ فقد جاء في بعض الروايات أن الضحّاك ، حين أبى عليه ابن مسلمة أن يحفر الخليج بأرضه ، قال له : تشرب منه أولاً وآخراً .

هذا ، ولو شئنا لأتينا بمثل أخرى كثيرة ، ولكن فيما ذكرناه منها كفاية لإثبات الطابع الجماعي للتشريع الإسلامي ، هذا الطابع الذي نجد في القرآن وسنة الرسول وأحكام الجلالة من الصحابة رضوان الله عليهم المصدر الأصيل له ، وذلك — كما قلنا — لأن الشريعة الإسلامية لم تنأ لتصلح الفرد وحده بل لصالح المجتمع كله في أكبر حدوده .

أما القوانين التي هي من صنع البشر ، فلم تلاحظ في أول أمرها هذه النظرة الجماعية أو الاجتماعية السامية ، بل كانت تسودها الروح الفردية ، ولناخذ مثلاً لذلك القانون المدني الفرنسي الذي صدر عام ١٨٠٤ م ، وكان وليد الثورة الفرنسية التي كان هدفها الأول تحرير الفرد مما كان ينوء به من قيود وأثقال في السياسة والقانون والاقتصاد وغير ذلك كله من نواحي الحياة العامة ، فجاءت الثورة عام ١٧٨٩ م لته

أن للإنسان بإعتباره فرداً حقوقاً طبيعية بلغت من القداسة حداً لا يحيز العبث أو المساس بها والانتقاص منها لصالح غيره .

« ومن ثم ساد هذا القانون روح فردى قوى يلتئم مع الروح الذى أملى إعلان حقوق الإنسان . وهو تدعيم حقوق الأفراد وحمايتهم ، وينظر إلى الفرد باعتباره العنصر الأهم في الحياة لا باعتباره جزءاً من كل هو الجماعة . ولقد كان من نتائج ذلك أن أتى وقت اعتبرت فيه الحقوق مطلقة المدى ، وأن صاحب الحق في استعماله سيّد لا يُسأل عما يترتب على هذا الاستعمال من الأضرار التي تحيق بغيره^(١) » .

ومن الحق أن ما حدث بعد عصر الثورة من تطورات اجتماعية واسعة المدى والأهمية ، قد أدّى إلى تطور مماثل في القوانين جعلها تنظر إلى الفرد وحقوقه باعتباره عضواً في الجماعة ، ومن ثم أخذت في الحدّ من حريته في استعمال حقوقه ، فنشأت هذه النظرية التي سميت فيما بعد بنظرية سوء استعمال الحقوق *La théorie de l'abus des droits*

إلا أنه مع هذا ، بقي من الثابت الذي لا ريب فيه أن نظرة الشريعة الإسلامية لحقوق الأفراد وتقييدها ، بما يحقق مصلحة الجماعة ولا يضر مصلحة الفرد نفسه صاحب الحق ، أوسع مدى وأبعد أثراً من نظرة القوانين الحديثة في هذه الناحية^(٢) .

ونعتقد أن هذه التفرقة الواضحة بين طابع الشريعة الإلهية وطابع القانون البشرى ترجع إلى تفرقة أساسية في أصل حقوق الفرد في الشريعة والقانون .

إن القانون في أول أمره يعتبر حقوق الفرد حقوقاً طبيعية له ، فهو يملكها ويتصرف فيها حسب ما يرى ، ومن ثم لا حرج عليه ولا تثريب إن أساء استعمالها . أما الشريعة الإلهية فتعتبر أن الفرد نفسه وكل ما اعتبر له من حقوق ملك لله تعالى وحده ومنحة منه لعبده ، ولا يمنح ما يمنح من حقوق للأفراد إلا لغرض حكيم هو تحقيق الخير للفرد والمجتمع معاً . ومن هنا نجد تقييد استعمال الحقوق الفردية من نواح مختلفة عديدة .

ذلك ، إن من المسلم الذي لا جدال فيه « أن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد

(١) انظر « مدى استعمال حقوق الزوجية وما تنقيد به في الشريعة الإسلامية والقانون المصرى الحديث » للدكتور السعيد مصطفى السعيد بك الأستاذ بكلية الحقوق جامعة فؤاد الأول ، ص ٥ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٤

في العاجل والآجل معاً^(١) ، وقد ذهب المعتزلة إلى أن أحكامه تعالى معللة برعاية مصالح العباد ، وهذا ما اختاره أكثر الفقهاء المتأخرين^(٢) . ويترب منطقياً على هذا الأساس أن يكون الإنسان في عمله واستعماله لحقوقه متفقاً مع قصد الله من التشريع ، وأن كل من ابتغى في تكاليف الشريعة غير ما شرعت له فقد ناقضها ويكون عمله لهذا باطلاً ، والدليل على ذلك من وجوه كثيرة^(٣) .

وبعد ! فهذا الطابع الجماعي للتشريع الإسلامي هو بعض خصائص هذا التشريع الذي يحقق لنا خير الدنيا والآخرة ما إن اتبعناه واعتزنا به وجعلناه أساس حياتنا العملية ، وربما كان لنا عودة إلى هذا الموضوع مرة أخرى ، والله المستعان .



« لا أدري »

قال مالك : « سمعت ابن هرمز يقول : ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول لا أدري ، حتى يكون ذلك أصلاً في أيديهم يهرعون إليه ؛ فإذا سئل أحدهم عما لا يدري ، قال لا أدري ... »

وقال ابن وهب « كان مالك يقول في أكثر ما يسأل عنه لا أدري »
« المدارك »

(١) الموافقات في أصول الأحكام للشاطبي المتوفى عام ٧٩٠ طبعة منير الدمشقي سنة ١٣٤١ هـ .

ج ٢ : ٢ .

(٢) نفس المرجع ونفس الموضع .

(٣) نفس المرجع ، ج ٢ : ٢٣٠ وما بعدها .

التشريع الجنائي الإسلامي

سؤال وجواب

للأستاذ عبد القادر عوده

أثار ما جاء في العدد الثاني من مجلة (المسلمون) في مقال التشريع الجنائي الإسلامي في الصحيفة رقم ٥٠ تساؤل كثير من الإخوان عن حكم الاستمناء وهل هو مباح أو محرم وظلوا يلاحقونني بالأسئلة فرادى حتى رأيت أن أنشر عليهم حكم المسألة بعد استقصائها .

وأحب أن يعلم الجميع أن الرأي الذي ذكرته هو رأي ابن حزم رحمه الله ويكاد التعبير يكون تعبيره والحجة حجته المحلى > ١١ ص ٣٩٢ .

وقد جاء في المقال أيضا أن الفقهاء تكلموا في هذا فكرهته طائفة وأباحته أخرى وحرمة ثالثة وحجة الكارهين أنه ليس من مكارم الأخلاق ولا من الفضائل ، وأشير في هامش المقال إلى كثير من المراجع الفقهية .

والآن نستعرض آراء آخرين استقيناها من أمهات كتب التفسير .

جاء في تفسير ابن كثير « أن الإمام الشافعي استدله هو ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد بالآية الكريمة « والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم » قال : فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين وقد قال الله تعالى « فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » .

وقد استأنس أصحاب هذا الرأي بحديث رواه الإمام الحسن بن عرفة في جزئه للشهور حيث قال : حدثني علي بن ثابت الجزري عن مسلمة بن جعفر عن حيان بن حميد عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولا يجمعهم يوم القيامة مع العالمين ويدخلهم النار في أول الداخلين إلا أن يتوبوا ومن تاب تاب الله عليه الناكح يده والفاعل والمفعول ومد من الحجر والضارب والديه حتى يستغيثا والمؤذى جيرانه حتى يلعنوه والناكح حليلة جاره » .

وهذا حديث غريب وإسناده فيه من لا يعرف لجهالته والله أعلم « تفسير ابن كثير » ص ٣٣٩ طبعة المكتبة التجارية .

ويقول صاحب المحيط في تفسيره « ما وراء ذلك يشمل الزنا واللواط ومواقعة البهائم والاستمناء والجمهور على تحريم الاستمناء ويسمى الحضضة وجلد عميرة ، وكان أحمد بن حنبل يجيزه لأنه فضلة في البدن فجاز إخراجها عند الحاجة كالقصم والحجامة .

ويقول صاحب المحيط أن حرمة بن عبد العزيز سأل مالكا عن ذلك فتلا هذه الآية ، وكان جرى كلام في ذلك مع قاضي القضاة أبي الفتح محمد بن علي بن مطيع العشري ابن دقيق العيد فاستدل على منع ذلك بما استدل مالك من قول الله « فمن ابتغى وراء ذلك » فقلت له إن ذلك خرج مخرج ما كانت العرب تفعله من الزنا والتفاخر بذلك في أشعارها وكان ذلك كثيرا فيها بحيث كان في بغاياهم صاحبات رايات ولم يكونوا ينكرون ذلك ، وأما جلد عميرة فلم يكن معهودا فيهم ولا ذكره أحد منهم في أشعارهم فما علمناه فليس بمندرج في قوله وراء ذلك ، ألا ترى أن محل ما أيسح وهو نساؤهم بنكاح أو تسر فالذي وراء ذلك هو من جنس ما أحل لهم وهو النساء فلا يحل لهم شيء منهن إلا بنكاح أو تسر » تفسير المحيط لأبي حيان ص ٣٩٧ الجزء السادس الطبعة الأولى مطبعة السعادة .

ويقول الألوسي « اختلف في استمناء الرجل بيده فجمهور الأئمة على تحريمه وهو عندهم داخل فيما وراء ذلك وكان أحمد بن حنبل يجيزه ، وقال ابن الهمام يحرم فإن غلبته الشهوة ففعل إرادة تسكينها فالرجاء أن لا يعاقب .

ومن الناس من منع دخوله فيما ذكر ثم أتى على رأى صاحب المحيط ورد عليه بقوله وأنت تعلم أن جلد عميرة كناية عن الاستمناء باليد عند العرب فالظاهر أن الفعل كان موجودا فيما بينهم وإن لم يكن كثيرا شائعا فمضى كان ذلك من أفراد العام لم يتوقف اندراجه تحته على شيوعه كسائر أفراد » تفسير الألوسي ص ٤٨٦ طبعة بولاق .

ويقول صاحب روح البيان « استدل بعض المالكية بالحديث « ومن لم يستطع — أى الزوج — فعله بالصوم » على تحريم الاستمناء لأنه أرشد عند العجز عن الزوج إلى أن الصوم الذي يقطع الشهوة جائز — وفي رواية الخلاصة الصائم إذا عالج ذكره حتى أمنى يجب عليه القضاء ولا كفارة عليه ولا يحل هذا الفعل خارج رمضان إن

قصد به تسكين شهوته وأرجو أن لا يكون عليه ويل . وفي بعض حواشي البخارى ، والاستمنا باليد حرام بالكتاب والسنة ثم قال المفسر والواجب على فاعله التعزير كما قال ابن الملحق وغيره . نعم يباح عند أبي حنيفة وأحمد إذا خاف على نفسه الفتنة ، روح البيان لإسماعيل حقي ج ٤ ص ٦١ ، ٦٢ .

وجاء في تفسير القرطبي : قال محمد بن عبد الحكم سمعت حرمة بن عبد العزيز قال سألت مالكا عن الرجل يجلد عميرة فتلا هذه الآية « والذين هم لفروجهم حافظون إلى قوله العادون » ويسميه أهل العراق الاستمنا . وأحمد بن حنبل على ورعه يجوز . ويحتج بأنه إخراج فضلة من البدن فجاز عند الحاجة كالفصد والحجامة . وعامة العلماء على تحريمه ، وهى معصية أحدثها الشيطان وأجراها بين الناس ولو قام الدليل على جوازها لكان ذو الروء يعرض عنها لدناءتها ولكن الاستمنا ضعيف فى الدليل عار بالرجل الدنى فكيف بالرجل الكبير » الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٢ ص ١٠٥ ، ١٠٦ طبعة دار الكتب .

ويقول الطبرى : من لم يحفظ فرجه عن زوجه وملك يمينه وحفظه عن غيره من الخلق فإنه غير ملوم على ذلك ولا مذموم ، ومن التمس لفرجه منكحا سوى زوجته وملك يمينه فأولئك هم العادون أى المجاوزون ما أحل الله لهم إلى ما حرم عليهم ، تفسير الطبرى الجزء الثامن عشر ص ٤٤ .

ومن الناس من استدل على تحريم الاستمنا بشئ آخر غير قوله تعالى « فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » من ذلك ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم « ناكح اليد ملعون » وما روى عن سعيد بن جبير « عذب الله أمة كانوا يعيشون بمذاكيرهم » وما روى عن عطاء « سمعت قوما يحشرون وأيديهم حبلى وأظن أنهم الذين يستمنون بأيديهم » تفسير الألوسى الجزء الخامس ص ٤٨٦ طبعة بولاق .

تلك هى آراء الفقهاء والمفسرين نخرج منها بأن بعضهم يحرم الاستمنا وبعضهم يحله وأن ممن يحرمه مالكا والشافعى وزيد بن على وأن ابن حزم يحله وكذلك أحمد وابن حنبل وأن أبا حنيفة يحله إذا خيفت الفتنة .

وأحب من ناحيتى أن يعلم الجميع أنه لو سلم بجرمة الاستمنا بالبدن فإنه ككل محرم يباح عند الاضطرار لقوله تعالى « وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » فإذا كان هناك ضرورة لا ترد إلا بالاستمنا فى هذه الحالة يباح إتيان الفعل . استثناء للضرورة .

وإذا سلم بأنه مباح أصلاً فيجب أن يعلم أن الطب الحديث قد أثبت أن الاعتقاد على الاستمناء ضار أشد الضرر بالجسم والعقل ، والإسلام يحرم كل ما يعود بالضرر على الإنسان ، ومن هذه الناحية يحرم الاعتقاد على الاستمناء باليد ، ويحرم من الاستمناء ما أدى إلى تكوين العادة تطبيقاً لقاعدة ما أدى إلى الحرام فهو حرام .
والخلاصة أن الاستمناء باليد محرم على الأقل لما له من أضرار على الصحة والعقل وأنه لا يجوز إلا المضطر .

والله أسأل أن يوفقنا إلى الخير وأن يهدينا سواء السبيل ؟

يد السماء

أراد فضالة بن عمير بن الملوح اللبني قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه ، قال رسول الله : أفضالة ؟ قال : نعم ، فضالة يارسول الله ؟ قال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال لا شيء ، كنت أذكر الله ؛ فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : استغفر الله ، ثم وضع يده على صدره ، فسكن قلبه ؛ فكان فضالة يقول : والله مارفع يده عن صدرى حتى ما من خلق شيء أحب إلى منه ، صلى الله عليه وسلم .

« ابن هشام »

الدعوة الإسلامية إلى غير أهل الكتاب

للدكتور محمد حسن الصغير

..... رئيس تحرير « المسلمون » :

..... وبعد ، فهذا رأى خاص دفعتنى إليه غيرتى الدينية ورحلاتى
العديدة فى الخارج . فلقد عشت فى أوروبا ردهاً من الزمن ، قست فيه
من روح الأمير شكيب أرسلان العالية — عن قرب واحتكاك — .
فدفعتنى إلى العناية بمحاضر العالم الإسلامى ودراسة شئونه دراسة منظمة
مستمرة . ثم قبض لى أن أطوف بشواطئ أفريقية الشرقية حيث ينشط
إخواننا مسلمو الباكستان والهند فى نشر الدعوة الإسلامية وإن كانت
تنقص حركتهم المباركة بعض التوجيهات والإرشاد . وخرجت من دراستى
بأن العالم الإسلامى مقصر فى أمر نشر الدعوة تقصيراً مريباً ، وأن الحاجة
ماسة إلى تنظيم شئونها على نهج حديث .

والرأى عندى أنه يجب أن يكرس النشاط الأكبر فى توجيه الدعوة
إلى غير أهل الكتاب . فالوثنيون ومن هم على شاكلتهم هم أولى الناس
ببث الدعوة الإسلامية وأكثرهم تقبلاً لها .

محمد حسن الصغير

الإسلام منذ ظهوره دين دعوة ، فقد حمل دعائه الأول رسالتهم إلى شعوب البلاد
التي فتحوها مهتدين بهدى الرسول ، تدفعهم حميتهم الدينية إلى الإنذار بالوعد الحق .
وألقي على عاتق المؤمنين كاقة منذ البداية تبليغ الرسالة ، وانبرى من بينهم فريق من
الدعاة وقفوا بحياتهم على نشر الدين الحنيف . على أنه لم يكن للإسلام هيئة منظمة
للدعوة مثل هيئات التبشير بالنصرانية التي تدعمها الكنيسة وتؤيدها الحكومات
النصرانية ، فظل دعاة الإسلام يجتهدون اجتهاداً فردياً ، لا تربطهم رابطة وثقى ،
ولا تضمهم هيئة منظمة . ومن ثم كان إشراق النور المحمدى فى أغلب البقاع النائية
إشراقاً ربانياً ينساب من قلب إلى قلب ، ويستضىء به شعب من شعب .

إلى أن مر العالم الإسلامى بفترة سكنت فيها ريح الدعوة الإسلامية بعد عصف ،
وخفت صوتها بعد قصف . ويعزى ذلك إلى تأخر المسلمين مادياً وسياسياً بعد غلبة
العالم الغربى وطغيان نفوذه السياسى . ومن ثم نشطت الجماعات المنظمة للتبشير بالنصرانية

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

من العمل والإنتاج الاقتصادي لا بد أن ينالوا بغيرهم عن طريق هذا النظام . ومن أجل هذه الغاية سن الإسلام في شريعته أن تجي « زكاة » بنسبة ٢,٥ ٪ سنوياً على الثروة السكدسة في البلاد وعلى رأس المال المتداول في التجارة سواء بسواء . ويجمع مقدار ٥ ٪ أو ١٠ ٪ من الإنتاج الزراعي للأراضي العشرية (١) جميعها ، كما يجمع من إنتاج بعض المناجم بنسبة ٢٠ ٪ . كذلك تجي هذه الضريبة السنوية بنسبة خاصة على الماشية التي يملكها أي فرد إذا زادت عن حد أدنى مقرر يتمتع بالإعفاء (النصاب) . وحصول هذه الحماية كلها يجب أن تنفق لمساعدة الفقير واليتيم والسكين . والزكاة بهذه الصورة أسلوب في تحقيق الضمان الاجتماعي ، في ظلها لا يتأني أن يعيش واحد في المجتمع الإسلامي بغير ضرورات الحياة . ولا يمكن أن يجبر عامل تحت ضغط الجوع على الرضوخ لشروط العمل التي يملكها صاحب المصنع أو مالك الأرض . ولن يكون الفرد عرضة لانتهيار قواه عن أدنى مستوى يمكن صاحبه من أن يدلي بدلوه في الكفاح الاقتصادي .

ويهدف الإسلام لإقامة ميزان بين المصالح المتقابلة للفرد والجماعة كي يرقى بذاتية الفرد وحرية الشخصية ، على أن يضمن في الوقت نفسه ألا تكون هذه الحرية ضارة بمصالح المجموع ، بل ينبغي حما أن تنتفع الجماعة منها . فالإسلام لا يؤيد تنظيم سياسياً أو اقتصادياً يرمي إلى إذابة الفرد في المجموع وتجريده من الحرية الضرورية لنمو شخصيته على أساس سليم . فإن النتيجة المحتومة لتأميم كل وسائل الإنتاج في قطر من الأقطار هو تعجز الجماعة للأفراد جميعاً ، فيتعذر استمرار كيانهم الفردي وتقدم هذا الكيان إلى حد كبير ، إن لم يصر هذا مستحيلًا تمامًا ؛ فإن الحرية الاقتصادية ليست أقل ضرورة للفرد من الحرية السياسية والاجتماعية بل هي لازمة له إلى أبعد مدى . فإذا كنا لا نقصد إلى استئصال شعور الفرد بكيانه وإنسانيته تمامًا ، فإن علينا أن نفتح له في حياتنا الاجتماعية المجال الكافي ليزاول حريته في كسب عيشه حتى يثبت في نفسه حرية الضمير وينغدو في وسعه أن ينهض بمواهبه الخلقية والعقلية وفقاً لميوله

(١) الأرض الزراعية من حيث الضريبة الواجبة فيها نوعان : أرض يجب فيها عشر ما يخرج منها أو نصف عشره وتسمى الأرض العشرية ، وأرض يجب فيها مقدار ربع عليها باعتبار مساحتها أو الخارج منها يسمى الحراج وتسمى الأرض الحراجية ومرجع هذا التقسيم إلى صفة اليد الموضوعة على الأرض ابتداء وقت فرض ضربتها ، فإن كانت إسلامية كانت الأرض عشرية ، وإن كانت غير إسلامية كانت الأرض خراجية — راجع رسالة الحراج — النظم الإسلامية (الطبعة المفصلة) من ٢٦٥ : ٢٦٧ — السياسة الشرعية لخلاف من ١١٧ : ١٢١ (المترجم) .

الذاتية . وهيات لمن يعيش على حصة مقررة ، تقديرها في أيدي الغير ، أن يكون سعيداً بحاله مهما كانت حصته هذه وافية كافية ، لأن تعويق السمو الخلق والروحي الذي يؤدي إليه هذا الوضع المهيمن لا يمكن أن يعوض أو يعادل بمجرد صحة البدن ووفرة الثروة !

وكما أن الإسلام لا يرضى عن مثل هذا النظام فإنه لا يعلن رضاه أيضاً عن نظام اجتماعي يعطى للأفراد حرية اقتصادية واجتماعية مطلقة العنان ، ويمنحهم « إذناً على يياض » ليحققوا مصالحهم الفردية ويرضوا رغائبهم ولو على حساب مصالح الجماعة بأسرها . وهكذا يختار الإسلام طريقه الوسط بين الإفراط والتفريط ، فيدعو الفرد نفسه أولاً ليقبل قيوداً والتزامات معينة في سبيل مصالح الجماعة ، ثم يدعه بعد ذلك حراً يدبر شئونه الخاصة . وليس هذا مجال الإفاضة في بيان كل هذه الالتزامات والحدود ، فقد يغني هنا أن نعرض لهذا في إجمال .

ولنتناول أولاً قضية كسب العيش . إن العناية الدقيقة التي تحراها الإسلام في التمييز بين الحلال والحرام في الكسب لا تنأى لأي قانون قائم في العالم . فهو قد عدّ من الكسب غير المشروع كل وسيلة يرتزق منها إنسان بالنيل من مصالح غيره من الناس ، أو مصالح المجتمع كوحدة ، سواء من الناحية الأخلاقية أو المادية . فشرعية الإسلام تحرم بتاتا صناعة الخمر وسائر المسكرات وتجارتها ، كما تحرم الزنا واحتراف الرقص ولعب الميسر . . . والمضاربة وأنواع « اليا نصيب » ، كذلك تحرم الصفقات الوهمية والاحتيالية والصفقات التي تحمل في طبيعتها جرائم النزاع بين أطرافها والمعاملات التي يكون الربح لجانب فيها مضموناً أكيداً بينما يتأرجح الجانب الآخر في مهب الريح مفتقداً الثقة والطمأنينة والضمان ، وشرعية الإسلام تحرم أيضاً التلاعب بالأسعار عن طريق الامتناع عن بيع ضرورات الحياة ، إلى غير ذلك من أمثال هذه الصفقات التي تضر مصالح الجماعة . وإذا ما أمعنت النظر في هذا الجانب من قوانين الإسلام الاقتصادية فلسوف تعرض لقائمة طويلة من الوسائل التي حرمها الإسلام ، والتي لو وجدت لها مكاناً لأتاح معظمها للكثيرين الفرصة كي يتربعوا على الملايين في ظل الرأسمالية القائمة . لكن الإسلام يحرم هذه الوسائل كلها في شريعته ، ويكفل حرية الكسب في حدود الوسائل السكرمة وحدها التي يستطيع الفرد خلالها أن يقدم للجماعة خدمة حقيقية نافعة ، ومن ثم يكون له بعدها أن يطالب عنها بم عوض عادل صحيح .

والإسلام إذ يقرر للفرد حقوقه في تملك ثروته التي كسبها عن طريق حلال ، فإنه لا يدع هذه الحقوق المقررة بلا حدود . فهو يدعو الفرد لينفق ماله الحلال في وجه حلال وبكيفية مشروعة . وقد وضع من القيود على الإنفاق ما يحجز به المرء عن تبديد ثروته في الملاذ السكالية في الوقت الذي يعيش فيه المعيشة اللائقة . فإبراز المسكن والاعتداد بالنفس من الأمور التي لا ينبغي لإنسان أن يتجاوز فيها الحدود حتى يقيم من نفسه إلهاً فوق البشر . ولقد حرمت بعض صور الإنفاق بوضوح وجلاء . أما بعضها الآخر فلئن لم يمنع صراحة إلا أن الدولة الإسلامية قد منحت من السلطة ما يحجز به الناس عن إنفاق الثروات في المحرمات .

ويباح للفرد أن يجمع من الثروة ما يتخلف عن نفقاته المشروعة والمعقولة ، وله أن يستثمر هذه الثروات في إنتاج المزيد ، ولكن لا يترك الإسلام كنز المال أو تنميته دون قيود . ففي الحالة الأولى عليه أن يدفع زكاة ما يتجمع لديه من مال يربو على النصاب المقرر في كل عام بنسبة ربع العشر (٢٥ / ١) . أما إذا رغب في استثمار ثروته في أحد المرافق فله أن يفعل ذلك ولكن في حدود المباح من الأعمال المشروعة . فمن المباح للشخص أن يباشر عملاً مشروعاً بنفسه ، أو أن يشترك في الربح والخسارة مع غيره مقابل تقديم ما لديه من رأس مال قد يكون في صورة مال أو عقار أو قد يكون في صورة أدوات وخصائص لازمة لحرفة من الحرف . وفي هذه الحدود ما على الواحد من جناح في نظر الإسلام إذا ما بلغ به عمله إلى ذروة الغنى ، بل إن هذا أحرى أن يعتبر من الله فضلاً عظيماً . ولكن الإسلام يشترط هنا على الفرد أمرين في سبيل مصالح الجماعة كوحدة : أول الأمرين أن يؤدي زكاة بضائعه التجارية وعشر غلة إنتاجه الزراعي (١) . وثاني الأمرين هو إلزامه بالقسط في المعاملة مع شركائه في التجارة أو الصناعة أو الزراعة ، ومع من يعملون تحت يده . وإذا لم يلتزم واحد واجب العدل من تلقاء نفسه فإن الدولة الإسلامية تجبره على ذلك . وبعد هذه الحدود الشرعية في موارد المال ومصارفه لا يدع الإسلام الثروة للتجمعة بعد إنقاذ هذه النعالم مركزة في يد واحدة لأمد طويل . فمن طريق شريعته في الميراث ينثر الإسلام تلك الثروة من جيل إلى جيل . واتجاه الإسلام في هذه الناحية مخالف

(١) وقد يؤخذ منه أكثر من ذلك إذا اقتضته الحاجة العامة لجماعة المؤمنين ولم تقم الزكاة بهذه الحاجة في المال حق سوى الزكاة . وسلطان الدولة في ذلك مطلق حتى تستوفي الجماعة حاجتها . . .

لاتجاه شرائع العالم الأخرى . فجميع هذه الشرائع تعمل على أن تبقى الثروة التي تجمعت يوما مركزة جيلا بعد جيل . أما الإسلام فيصوغ شريعته على عكس ذلك تماما . فبحقنقى هذه الشريعة فرض على الثروة التي يجمعها الشخص مدة حياته أن تتوزع بين أقاربه الأقربين فور وفاته . فإذا لم يوجد هؤلاء جاء دور الأقارب الأبعد في الميراث وفقا لقررتة الشريعة ، لكل واحد منهم نصيب مفروض ، فإذا افتقدنا هؤلاء أيضا خنول المجتمع المسلم بأسره حق الميراث . وهيات أن يبرز فى ظل هذا التشريع ، أو أن يفلت منه صاحب قناطير مقنطرة أو ضياع واسعة . فإن هذه الضريبة الأخيرة كفيلة بأن تطيح بما عسى أن يكون قد صرق رغم القيود السالفة من مساوىء التجمع والتركز فى الثروات ؟



بالبصر ...

روى أبو هريرة :

لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر ، وكفر من كفر من العرب ، فقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم من ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله تعالى ؛ فقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال - والله لو منعوني عقلا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ، قال عمر : فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق . . . « مسلم والترمذى وأبو داود »

سجّات فكر

السعادة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

سفير مصر في الباكستان

السجود لله

سجدة تخفض الجباه ، ولكن عزّ فيها مسبح وتعالى
ظنها الجاهلون غُلا على العبد ولكن تحطم الأغلالا
خرّ فيها لساجد كل شيء يهرب الكون قوله والفعّالا
ثبت الوجه والجوارح في الأرض ولكن تقلقل الأجيالا
تهدم الشرك والوساوس في النفس ولكن تشيّد الأجيالا
في سكون وللقلوب مسير سخر الأرض رهبة وجلالا
هي لله وحده فقررت وحت كل غاشم يتعالى
من وعائها وعن السيادة في الأرض جلالا ورحمة وجلالا

فقد الطمأنينة والثقة

حكى أن رجلين سافرا في قطار ليلا . ولم يكن في العربّة معهما ثالث ، فاستوحش
كل واحد من صاحبه ، وتوجس منه شراً فظفر إليه رقبته خائفاً أن يفتك به ، وكلما
نظر أحدهما إلى الآخر زاد خوفه وكثرت وساوسه ، وخيل إليه الوم أن صاحبه
سيفتك به إن لم يبادره هو بالفتك ، وبقي كذلك في قلق وخوف وحذر حتى افترقا .
قلت : ولم يكن بعيداً أن يفت أحدهما صاحبه بضربة قاضية ، ولم يكن بعيداً
أن يتخالدا نفسيهما بضربتين تقضى عليهما أو أن يتضاربا ويتجالدا حتى يقتل أحدهما
الآخر ، كل هذا من الريبة والتهمة وفقد الثقة .

وكذلك الأمّ اليوم فريقان ، كل ينظر إلى صاحبه ويخافه ويحذر منه ، ويتوهم
أنه مفاجئه اليوم أو غداً ، وكل يعمل ليل نهار للتسلح والإعداد بكل ما خلق العلم

والصنعة من آلات مقتلة مدمرة مخربة . وكل ينادى أنه لا ينبغي إلا السلام ، ولكن صاحبه يضر له الغدر ويتوى به الفتك فماذا عسى أن يفعل .

وليس بعيداً أن يتباديا في التنافر وتبادل التهم حتى يفجأ فريقاً بفريقاً بحرب ليدفع عن نفسه ، أو يفاجيء الفريقان بعضهما بعضاً على وفاق . ذلكم بما فقدت الأمم من الثقة ، وإنما فقدت الثقة بما جرّبت من الغدر والكذب ، وإنما تكاذبوا وتغادروا بما فقدوا من المروءة التي كانت تنأى بالأحرار عن هذه الرذائل ، وإنما فقدوا المروءة حينما هبطوا من الإنسانية إلى الحيوانية ، وصاروا أشباحاً بلا أرواح ، وعبدوا الحسنيّات ، وغفلوا عن المعنويات . فهل من معتبر ؟

كل يقول لى وليس من يقول على

تملأ الأرض صيحات المطالب ، كل واحد يقول : حقى فأعطونى ، وكل طائفة تقول : غبنت فزيدونى ، وكل أمة تنادى : أنا أريد مالى فلا تلومونى . ولا تسمع من يقول : هذا ليس لى ، وهذا حق غيرى ، ولا تجد من يقول : أخذت حقى فلا أستزيد ، وفلان مغبون فهو أولى بالمزيد ، ذلكم بما تسلطت الشهوات وغلبت الجفائيات ، وانقلب الإنسان حيواناً ، لا يقف ولا يعدل . كل من اشتهى شيئاً سعى إليه ، وكل من رغب فى شيء طمع فيه . والجسم لا يعترف إلا ببلذاته ، والهوى لا يبالي بغير زواته ، فأيقظوا الأرواح وعلموها العدل والإباء والكرامة ، وأن فى الحياة أمراً وراء البدن ، وأن فى اللذات لذة غير جفائية ، وأن للناس مطالب روحانية .

نصروا الناس بالحياة الكريمة لتسمعوا من يقول : هذا أستطيعه ولا أفعله ، وهذا أعطاه ولا أقبله ، وهذا أشتهيه وأعف عنه ، وهذا ينفعنى وأقر منه . حينئذ يقول الإنسان : واجبى قبل أن يقول حقى ، ويقول : حقى وحقى غيرى ، ويقول : هذا غيرى كما يقول هذا لى . ويؤمنذ يجمع الناس الحق بعد أن باعد بينهم الباطل ، ويؤلفهم العدل بعد أن فرقهم الأهواء ، وتلفهم المحبة بعد أن باعدت بينهم البغضاء .

فُتْطَرَّةُ إِلَى سَعَادَةِ لِبَشِيَّةِ

لِسَمَاحَةِ السَّيِّدِ أَبِي الْحَسَنِ النَّدَوِيِّ

وَكَيْلِ نَدْوَةِ الْعُلَمَاءِ بِالْهِنْدِ

بُعْثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ بَلَغَتْ شَقَاوَةُ الْإِنْسَانِيَّةِ غَايَةَ مَاورَاءَهَاغَايَةِ . وَكَانَتْ قِضِيَّةُ الْإِنْسَانِيَّةِ أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يَقُومَ لَهَا أَفْرَادٌ مُتَنَعِّمُونَ لَا يَتَعَرَّضُونَ لِحَظَرٍ وَلَا خَسَارَةٍ وَلَا مَحَنَةٍ ، لَهْمُ النَّعِيمِ الْحَاضِرِ وَالْعَدَدِ الْمَضْمُونِ ؛ إِنَّمَا تَحْتَاجُ هَذِهِ الْقِضِيَّةُ إِلَى أَنْاسٍ يَضْحَكُونَ بِإِمْكَانِيَّاتِهِمْ وَمُسْتَقْبَلِهِمْ فِي سَبِيلِ خِدْمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَأَدَاءِ رِسَالَتِهِمُ الْمُقَدَّسَةِ وَيَعْرِضُونَ نَفُوسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَمَعَائِشَهُمْ وَحُظُوظَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا لِلْخَطَرِ وَالضَّيَاعِ ، وَتَجَاوِزَاتِهِمْ وَحِرْفَتِهِمْ وَمَكَاسِبِهِمْ لِلتَّلَفِ وَالْكَسَادِ ، وَيُخَيِّبُونَ آمَالَ آبَائِهِمْ وَأَصْدِقَائِهِمْ فِيهِمْ حَقٌّ يَقُولُوا لِلوَاحِدِ مِنْهُمْ كَمَا قَالَ قَوْمُ شَعِيبَ لَهُ : « لَقَدْ كُنْتُ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا » .

إِنَّهُ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِيَّةِ وَلَا قِيَامَ لِدَعْوَةِ كَرِيمَةٍ بِغَيْرِ هَؤُلَاءِ الْمَجَاهِدِينَ . وَبَشَاءَ هَذِهِ الْحَفْنَةِ مِنَ الْبَشَرِ فِي الدُّنْيَا — كَمَا يَعْتَقِدُ كَثِيرٌ مِنْ مُعَاَصِرِهِمْ — تَنْعَمُ الْإِنْسَانِيَّةُ وَتَسْعَدُ الْأُمَمُ وَيَتَحَوَّلُ تَيَارُ الْعَالَمِ مِنَ الشَّرِّ إِلَى الْخَيْرِ . وَمَنْ السَّعَادَةُ أَنْ يَشْقَى أَفْرَادٌ وَتَنْعَمُ أُمَمٌ ، وَتَضِيعُ أَمْوَالٌ وَتُكْسَدُ تِجَارَاتٌ لِبَعْضِ الْأَفْرَادِ ، وَتَنْجُو نَفُوسٌ وَأَرْوَاحٌ لَا يَحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَمِنْ نَارِ جَهَنَّمَ .

عَلَّمَ اللَّهُ عِنْدَ بُعْثَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الرُّومَ وَالْفَرَسَ وَالْأُمَّمَ الْمُتَحَضِّرَةَ الْمُتَصَرِّفَةَ بِزِمَامِ الْعَالَمِ التَّمَدُّنِ لَا تَسْتَطِيعُ بِحُكْمِ حَيَاتِهَا الْمَصْطَنَعَةِ الْمَتْرَفَةِ أَنْ تَتَعَرَّضَ لِلْخَطَرِ وَتَحْتَمِلَ الْمُتَاعِبَ وَالْمَصَاعِبَ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ وَالْجِهَادِ وَخِدْمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْبَائِسَةِ ، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَضْحَى بِشَيْءٍ مِنْ دَقَائِقِ مَدِينَتِهَا وَتَأْنِيقَاتِهَا ، وَأَنَّهُ لَا يَوْجَدُ فِيهَا أَفْرَادٌ يَقُودُونَ عَلَى قَهَرِ شَهَوَاتِهِمْ وَالْحَدِّ مِنْ طَمُوحِهِمْ وَالزَّهْدِ فِي فَضُولِ الْحَيَاةِ وَمَطَامِعِ الدُّنْيَا وَالْقَنَاعَةِ بِالْكَفَافِ ؛ فَاخْتَارَ لِرِسَالَةِ الْإِسْلَامِ وَصِيَّةَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أُمَّةً تَضطلعُ بِأَعْيَابِ الدَّعْوَةِ وَالْجِهَادِ ، وَتَقْوَى عَلَى التَّضْحِيَةِ وَالْإِثَارِ . تِلْكَ هِيَ الْأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ الْقَوِيَّةُ السَّلِيمَةُ الَّتِي لَمْ تَبْتَلَعْهَا الْمَدِينَةُ وَلَمْ يَنْخَرْهَا الْبَذْخُ وَالزَّرْفُ ، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْبَرُ النَّاسِ قُلُوبًا وَأَعَمَقَهُمْ عِلْمًا وَأَقْلَمَهُمْ تَكَلُّفًا .

قَامَ الرَّسُولُ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ الْعَظِيمَةِ فَأَدَّى حَقُوقَهَا مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهَا وَإِثَارِهَا عَلَى

كل ما يقف في وجهها والعزوف عن الشهوات ومطامح الدنيا ، فكان في ذلك أسوة وإماماً للعالم ، كلفه وفد قریش وعرض عليه كل ما يغري الشباب ويرضى الطامحين : من رئاسة وشرف ومال عظيم وزواج كريم ، فرفض كل ذلك في صرامة وصراحة . وكله عمه وحاول أن يحد من نشاطه في سبيل الدعوة ، فقال : يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ، ثم كان أسوة للناس في عصره وبعد عصره بقيامه بأكبر قسط من الجهاد والإيثار والزهد وشطف العيش ، وأقل قسط من العيش وأسباب الحياة ؛ فقد أوصد على نفسه الأبواب وسد في وجهه الطرق ، وتمددى ذلك إلى أسرته وأهل بيته والمتصلين به ، فكان أكثر الناس اتصالاً به وأقربهم إليه أقلتهم حظاً في الحياة وأعظمهم نصيباً في الجهاد والإيثار ، فإذا أراد أن يحرم شيئاً بدأ ذلك بعشيرته وبيته ، وإذا سنّ حقاً أو فتح باباً لمنفعة قدم الآخرين وربما حرّمه على عشيرته الأقربين : أراد أن يحرم الربا فبدأ بربا عمه عباس بن عبد المطلب فوضعه كلفه ، وأراد أن يهدر دماء الجاهلية فبدأ بدم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فأبطله ، وسنّ الزكاة وهي منفعة مالية عظيمة ، مستمرة إلى يوم القيامة ، فحرمها بعشيرته بنى هاشم إلى آخر الأبد ، وكلّفه علي بن أبي طالب يوم الفتح في أن يجمع لبنى هاشم الحجابة مع السقاية فأبى ، وطلب عثمان بن طلحة وناولوه مفتاح الكعبة وقال هالك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم برّ ووفاء ، وقال خذوها خالدة تالدة فيكم لا ينزعها منكم إلا ظالم ، وحمل أزواجه على الزهد والقناعة وشطف العيش ، وخيرهن بين عشرته مع الفقر وضيق العيش ، ومفارقتها مع الشعة والرخاء ، وتلى عليهن قوله تعالى : « يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتسكن وأسر حكن سرا حاً جميلاً ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً » . فاخترن الله والرسول ، وتأتته فاطمة تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى وقد بلغها أنه جاء رقيق ، فبوصيها بالتسبيح والتحميد والتكبير ، ويقول : إنه خير لها من خادم ، وهكذا كان شأنه مع أهل بيته والمتصلين به بالأقرب ثم الأقرب .

ثم وآمن به رجال من قریش في مكة فاضطربت حياتهم الاقتصادية اضطراباً عظيماً ، وكسدت تجارتهم ، وحرّم بعضهم رأس ماله الذي جمعه في حياته ، وحرّم بعضهم أسباب الترف والرخاء ، وأناقة اللباس التي كان فيها مضرب المثل ، وكسدت تجارة بعضهم لاشتغاله بالدعوة وانصراف الزمان عنه ، وحرّم بعضهم من نصيبه في ثروة أبيه .

ثم لما هاجر الرسول إلى المدينة وتبعه الأنصار تأثرت بذلك بساكنيهم ومزارعهم ، فلما أرادوا أن يقبلوا عليها بعض الوقت ويصلحوها لم يُسمع لهم بذلك ، وأنذرهم الله به فقال : « وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » .

وهكذا كان شأن العرب والذين احتضنوا هذه الدعوة منهم ، فقد كان نصيبهم من متاع الجهاد وخسائر النفوس والأموال أعظم من نصيب أى أمة في العالم ، وقد خاطبهم الله بقوله : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترتبصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين » وقال : « ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه » لأن سعادة البشرية إنما كانت تتوقف على ما يقدمونه من تضحية وإيثار ، وما يتحملون من خسائر ونكبات ، فقال : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات » وقال : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » وكان إحجام العرب عن هذه المكربة وترددهم في ذلك امتداداً لشقاء الإنسانية واستمراراً للأوضاع السيئة في العالم ، فقال : « إلا تفعلوه تكن فتنه في الأرض وفساد كبير » .

وقد وقف العالم في القرن السادس المسيحى على مفترق الطرق : إما أن يتقدم العرب ويعرضوا نفوسهم وأموالهم وأولادهم وكل ما يعزّ عليهم للخطر ، ويزهّدوا في مطامع الدنيا ويضحوا في سبيل المصلحة الاجتماعية بأنانيتهم ؛ فيسعد العالم وتستقيم البشرية وتقوم سوق الجنة وتزوج بضاعة الإيمان ، وإما أن يؤثروا شهواتهم ومطامعهم وحظوظهم الفردية على سعادة البشرية وصالح العالم ؛ فيبقى العالم في حما الضلالة والشقاء إلى ما شاء الله . وقد أراد الله بالإنسانية خيراً إذ تشجّع العرب — بما نفخ فيهم محمد صلى الله عليه وسلم من روح الإيمان والإيثار وحب إليهم الدار الآخرة وثوابها — فقدموا أنفسهم فداء للإنسانية كلها ، وزهدوا في مطامع الدنيا طمعاً في ثواب الله وسعادة النوع الإنسانى ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، وضجّوا بكل ما يحرض عليه الناس من مطامع وشهوات وآمال وأحلام ، وأخلصوا لله العمل والجهاد فآثام الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين .

وقد استدار الزمان كهيشته يوم بعث الرسول ووقف العالم على مفترق الطرق مرة ثانية : إما أن يتقدم العرب — وهم أمة الرسول وعشيرته — إلى الميدان ويغامروا

بنفوسهم وإمكانياتهم ومطامعهم ، ويخاطروا بجامهم فيه من رخاء وثرء ودنيا واسعة ، وفرص متاحة للعيش ، وأسباب ميسورة ؛ فينهض العالم من عثائه وتبدل الأرض غير الأرض ، وإما أن يستمرّوا في ما هم فيه من طمع وأنانية ، وتنافس في الوظائف والمرتبات ، وتفكر في كثرة الدخل والإيراد وزيادة غلة الأملاك ، وبيع التجارات ، والحصول على أسباب الترف والتنعم ؛ فيبقى العالم في هذا المستنقع الذي يتردى فيه منذ قرون .

إن العالم لا يسعد وخيرة الشباب في العواصم العربية عاكفون على شهواتهم : تدور حياتهم حول المادة والمعدة لا يفكرون في غيرها ، ولا يترفعون عن الجهاد في سبيلها . ولقد كان شباب بعض الأمم الجاهلية أكبر منهم نفساً ، وأوسع منهم فكراً ؛ إذ ضخوا بمستقبلهم وراحتهم في سبيل المبادئ التي اعتنقوها ، بل قد كان الشاعر الجاهلي « امرؤ القيس » أعلى منهم همة إذ قال :

ولو أننى أسعى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكننى أسعى لمجد مؤثّل وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالى

إنّ العالم لا يمكن أن يصل إلى السعادة إلّا على قنطرة من جهاد ومتاعب يقدها الشباب المسلم . إنّ الأرض لنى حاجة إلى سماء ، ومماد أرض البشرية الذى تصلح به وتنبت زرع الإسلام الكريم هى الشهوات والمطامع الفردية التى يضحى بها الشباب العربى فى سبيل علو الإسلام وبسط الأمن والسلام على العالم ، وانتقال الناس من الطريق المؤدية إلى جهنم إلى الطريق المؤدية إلى الجنة ، إنه لثمن قليل جداً لسلعة غالية جداً .

لم يوجد ..

لم يوجد قط رجل تطلع تطلماً مقصوداً أو غير مقصود ، إلى غاية أسى مما تطلع إليه محمد (صلى الله عليه وسلم) ، إذ كانت غايته أسى مما يتطلع إليه الإنسان : كانت ترمى إلى نفس الأباطيل التى قامت بين الإنسان وخالقه ، وحل الإنسان على عبادة الله وحده .

« لا مارتين »

انجلترا والعالم الإسلامي

للدكتور محمد ضياء الدين الرئيس

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بجامعة فؤاد الأول

٢ - مفترق الطرق

استعرضنا تاريخ إنجلترا - في مقالنا السابق - إلى مطالع القرن السادس عشر ؛ وقلنا : إنها إلى ذلك العهد كانت لا تزال دولة صغيرة ، محدودة الموارد ، تعيش عالة على أوروبا ؛ ولم تكن تملك شبراً واحداً خارج المياه المحيطة بها .

غير أنه في خلال هذا القرن حدثت تغيرات كثيرة في حياة أوروبا والعالم ، ثم في حياة إنجلترا : فقد أخذت تظهر آثار حركتي « الإحياء » و « الإصلاح الديني » . والأولى ليست إلا اهتمام الأوروبيين بقراءة كتب الإغريق والرومان ؛ والأخرى هي المطالبة بأن يكون للفرد حق قراءة الكتب المقدسة ، والحد من سلطان الكنيسة التي كانت تحجر على حرية الفكر ؛ وإذا كانت هاتان الحركتان قد بدأتا عهداً جديداً في حياة أوروبا فهما لم تفعل في الواقع إلا أنهما قربتا أوروبا في هاتين الناحيتين من متادى الإسلام : فالمسلمون قد قرأوا آثار القدماء ودرسوا كتب اليونان منذ حركة الترجمة في العصر العباسي ، ولم تعرف أوروبا « أرسطو » إلا عن طريقهم ؛ والإسلام قد حرر عقل الفرد من سلطان الهيئات المستغلة واعترف له بحق الاجتهاد ، بل قرر أن الإيمان لا يصلح إلا على أساسه .

ولكن كان من نتائج هاتين الحركتين أن تكون في أوروبا « الوعي الجديد » الذي أخذ منذ ذلك الوقت يشمو وينمو ، وكان الأساس لكل ما تلاه من حركات النهضة والتقدم ، وانضمت إليه عوامل أخرى كانت من الوجهة العملية أكثر أهمية ، وكانت هي ذات الأثر المباشر في تحويل أوروبا من عصور التفتك والضعف والفقر إلى العصر الحديث ، الذي أخذت تملك فيه أسباب القوة وتحرز وسائل الغنى ، وتستأثر بالجاه والسلطان : وفي مقدمتها أولاً : نشاط حركة الكشف الجغرافي ،

والتوفيق إلى العثور على العالم الجديد أو القارة الأمريكية بما تحتوي من موارد غنية لا حصر لها وأراض شاسعة ؛ وارتداد البحار والمحيطات ومعرفة صلات القارات بعضها ببعض ؛ واكتشاف الطريق من أوروبا إلى الهند ، فالشرق الأقصى ، عن طريق رأس الرجاء الصالح . وعامل ثان : هو تكون دول إقليمية قوية منظمة تنظيماً حديثاً ، تعتبر أن قوتها تستمد من قوة الشعوب ؛ وتعمل دائبة عن وعى ، ووفقاً لمناهج مدروسة نظامية ، لرفع شأن هذه الشعوب ، وتوفير كل أسباب القوة والرخاء لها . فوجود هذه الحكومات المنظمة الصالحة ذات المبادئ ، والتي جندت نفسها لخدمة مصالح شعوبها ، والعثور على هذه الكنوز المظمورة أو التي كانت مجهولة في العالم الجديد وفي جميع أنحاء العالم ، مع الوعي العقلي الذي نشأ نتيجة للتحرر من أوهام الكنيسة وخرافاتها — كل هذا دعا إلى التنافس بين تلك الدول ، وأدى إلى ازدياد النشاط الاقتصادي والعمراني ، وبالجمل هو الذي أوجد « أوروبا الحديثة » .

وانتفعت انجلترا بنتائج كل تلك الحركات واشتركت بعد وقت متأخر في هذا النشاط ، وإن لم يكن لها أى فضل في إيجاد الأسباب التي أدت إليها . ووجهتها هذه الوجهة أسرة « التيودور » التي كانت تحكمها في خلال هذا القرن ، وكانت حريصة كل الحرص على خدمة مصالحها والنهوض بها : فأورثها « هنري السابع » حكومة مستقرة غنية ، وبني لها « هنري الثامن » أول أسطول لها — وسيكون الأسطول أقوى سلاح في يدها في القرون التالية — وشجعت الملكة « إليصابات » حركات المغامرين والقراصنة ، وكان هدفهم الاعتماد على سفن الدول الأخرى التي سبقتهم إلى الاكتشاف والاستعمار كأسبانيا وهولندا والبرتغال . ثم تأسست « شركة الشرق » للتجارة ، وفي أواخر عهدها عام ١٦٠٠ تأسست « شركة الهند الشرقية » التي سيكون لها تاريخ حافل والتي كانت طليعة استعمار القارة الهندية بأكملها .

ولكن العالم الإسلامي كان إلى ذلك العهد لا تزال تمثله امبراطوريات قوية : فالدولة العثمانية في الشرقين الأدنى والأوسط ، والدولة الفارسية الصفوية في إيران ، والإمبراطورية المغولية في الهند . ويقول المؤرخون الأوربيون أنفسهم إن اسم السلطان « سليمان القانوني » كان أضخم اسم في أوروبا في القرن السادس عشر . وكان الجيش العثماني الإسلامي أقوى جيش في القارة كلها بل في العالم ؛ كان قوة رهيبية تنظر إليه أوروبا وجلة مذعورة ، إذ كان دوى انتصاراته التالية — ولا سيما منذ اقتحم « محمد الفاتح » القسطنطينية وفتحها وقضى بذلك على الامبراطورية البيزنطية — لا يزال

في آذانها. وقد وقف الجيش أيضاً في عهد السلطان سليمان عام ١٥٢٩ على أسوار « فينا » وهدد بفتحها ، وارتجت أوروبا كلها لذلك الحادث ، وأسرعت إلى نجدها مع الشتاء ، خوف أن تلحق بأختها القسطنطينية وقد التمس « فرانسوا الأول » ملك فرنسا من السلطان أن يمنحه بعض « ضمانات » تحمى أفراد رعيته من التجار — الذين كانوا لا يستطيعون عبور حدود الدولة العلية — وهى التى تطورت فيما بعد إذ تغيرت الأحوال إلى أن صارت « امتيازات » .

وكتبت الملكة « اليبابات » إلى السلطان في عهدهما عدة رسائل تتقرب إليه ، ومما ادعته أنها قالت إن دين دولتها « البروتستنتى » أقرب إلى الإسلام من الدين « الكاثولىكى » الذى تتبعه فرنسا منافستها في التجارة ؛ وكان للدولة العثمانية أيضاً أسطول قوى فى البحر الأبيض المتوسط ، أربأ أوروبا وقتاً طويلاً ؛ كما أن سلطانها امتد في أنحاء ولايات البلقان حتى شمل الجنوب الشرقى من أوروبا كله . وكانت الدولتان الفارسية والهندية قويتين أيضاً في حدودهما ومحيطهما ، تمتلكان موارد كثيرة ولهما جيوش منظمة وأساطيل . والأخيرة منهما تحكم قارة الهند المترامية الأطراف مع أن عدد سكانها من الهندوكيين وغيرهم يزيد على أربعة أضعاف عدد السكان من المسلمين .

كل هذا كان في وقت لا يعتبر جيداً في نظر التاريخ ، أى في خلال القرن السادس عشر ، والقرن المذكور في اعتبار المؤرخين هو القرن الأول أو الثانى من العصر الحديث . فالعالم الإسلامى في مطلع العصر الحديث كان لا يزال عملاقاً هائلاً ، مخوف القوة ، تمتد المساحة المطوية بين ذراعيه من شمال البلقان والمحيط الأطلسى إلى جبال التبت وسهوب آسيا ؛ بل أبعد من ذلك . ويتمثل في تلك الامبراطوريات الثلاث وتبدو الدول الأوروبية إلى جانبه وحدات صغيرة لم تتيقظ إلا منذ عهد قريب وهى حديثة النعمة ، تفكر في مرضاته والتقرب إليه ، ولا تستطيع عبور حدوده إلا بإذن ، وإذن صادر عن تعطف وتنازل .

وقد بنى هذا العالم محتفظاً بمركزه ونفوذه طوال القرن السابع عشر أيضاً ، وحتى منتصف القرن التالى . وهو الثامن عشر . إلى هذا الوقت ، أى منذ قرنين فقط من الزمان ، وهى فترة قصيرة في نظر التاريخ لا تزيد على أعمار ثلاثة رجال ؛ كان التوازن لا يزال محفوظاً بين الشرق والغرب ، بل كانت كفة الشرق لا تزال تتذبذب نحو الرجحان . إذ كانت الامبراطورية العثمانية ما فتئت قادرة على أن تناضل روسيا ، — روسيا الحديثة التى نظمها بطرس الأكبر — وتنزل بها هزائم فادحة كما حدث حين

أجبرتها على عقد معاهدة « بلغراد » عام ١٧٣٩ . وكانت شروطها في صالح الدولة العلية . وظلت تركيا تحكم بلاد البلقان حتى بعد هذا العهد بوقت طويل .

ولكن منذ هذا الوقت حدث تطور بالغ الأثر فأخذ ميزان القوى يتأرجح ثم مالت كفة القوة والغلبة نحو الغرب . وأخذت المسافة بين العالمين تتسع ، وصار الغرب يزداد قوة ودول الشرق تزداد ضعفاً وانحلالاً . وكان النصف الثاني من القرن الثامن عشر هو بدء التحول أو نقطة الافتراق . وكان لا بد من حدوث ذلك ، كان لا بد أن يمر الشرق بأوقات عصيبة . ولا بد أن يجتاز محنة ، محنة قاسية عنيفة تتقاضاه جهوده ودماءه ، وترهقه بالآلام الممضة وتعملاً قصول حياته بالمأسى ١١ فإنه إذا كان الشرق الإسلامى قد بقي إلى ذلك الوقت وهو متماسك الأجزاء محتفظ بمظهر قوته فإنما قد بقي بقوة الدفع فقط ، هذه القوة التى ظلت تدفعه أكثر من ألف عام ، وكانت تتجدد ما بين حين وآخر بآثار قوى إصلاحية تظهر من عهد إلى عهد . ولكن فى خلال هذه القرون الأخيرة من حكم الدولة العثمانية وكذلك الدولة الممثلة لها فى الهند كان الشرق قد فقد عوامل القوة والحيوية ، وأصبح جسماً أو هيكلًا ضعيفاً بدون روح . وذلك لأن روحه كانت هى الإسلام وهو قد أخذ منذ وقت طويل يبتعد عن روح الإسلام ويخالف مبادئه ، بل إن حياته الاجتماعية ونظم الحكم فيه والقوانين أو السياسات التى تنفذها حكوماته كانت تحدياً سافراً للإسلام نفسه :

فالحكم قائم على القوة والاعتصاب ، لا على الشورى . وغاية الحكم إسعاد طبقة معينة ، لا تحقيق مصالح الأمة . وطرق الحكم الرشوة والفساد واستغلال النفوذ ، لا العدالة ولا المساواة . والأرض إقطاع ، وانقسمت الأمة إلى طبقات ، والولايات والمناصب تباع وتشترى بطريق المزايدة ، والجيش أصبحت مأجورة مرتزقة لا يحرك حماسها وطنية ولا دين ، والأمة مهملات لا يفكر أحد فى توفير وسائل المعيشة لها ، ولا ينظر إليها إلا على أنها السائمة الحلوب التى تدر الخير لساكناتها ، إلى أن جاء وقت نصب فيه العين وجف الضرع من شدة الظلم والطغيان والاستغلال . ووقف العلم عند حد لا يعدوه منذ قرون حتى صار ألفاظاً وقشوراً . وبالجملة تحول الإسلام إلى مجرد عقائد فردية بعد أن كان نظاماً للمجتمع ، وأساساً للدولة ، ودستوراً للتشريع ، وحافزاً إلى الرقى والازدياد من المعرفة ، ورافعاً للقوة المعنوية فى الفرد والجماعة لبلوغ غايات القوة والمجد . فهكذا تقوض أساس الحياة الاجتماعية فى ظل هذه الدول الجوفاء ، فى ظل الحكم التركى الإقطاعى ، سواء فى آسيا الصغرى أو فى الهند . وفقد الشرق

رسائله ، وساد حياته الركوند ، وغفل عن سنن الله في خلقه . وإذ أصبحت فيه حكومات بلا شعوب صار من السهل أن تقع هذه الحكومات واحدة بعد الأخرى فريسة لأول طامع أوروبى ينقض عليها يريد استغلالها أو التهامها ، ومن هنا وجدت الظروف المناسبة للاستعمار ؛ وبدأ عهد الاستعمار الذى لا تزال نعاى آثاره إلى اليوم .

بينما فى الغرب كانت أوروبا ، ومعها إنجلترا . قد أخذت تبنى شعار تلك النهضة التى وصفناها آنفاً ؛ وكانت تلك النهضة فى ذاتها — كما ألمعنا إلى ذلك فى المقال السابق — قبساً من نهضة البلاد الإسلامية إبان عصورها الزاهرة . واهتدت الأمم الأوربية بالتجارب وبالعقل والعلم إلى بعض مبادئ الفطرة السليمة التى دعا إليها الإسلام . فتكونت لها إذن عوامل القوة : فوجدت فيها الدول المنظمة التى تعمل لتحقيق مصالح الشعوب — وإن كانت فكرتها ظلت قومية لا عالمية — وصار الحكم فيها فناً يقوم على خطط مرسومة ، وبدأت الدعوة تنتشر وتقوى من أجل العدالة والمساواة — ولكن فى حدود الوطن الواحد — وأخذ التشريع الاجتماعى يهدف إلى حماية الحقوق وكفالة الكرامة الإنسانية ، واتجهت الجهود كلها إلى الإنتاج والعمران والعمل على زيادة الثروة . وزخرت الحياة الأوربية بالنشاط فى مختلف ميادين الصناعة والتجارة بعد الزراعة . ثم توجت هذه الجهود كلها بحدوث ما عرف فى التاريخ باسم « الثورة الصناعية » . وهذه الثورة الصناعية التى بدأت فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر هى التى ضمنت لأوروبا التفوق وهى التى كفلت لحركة الاستعمار النجاح ، وهى التى قلبت ميزان القوى بين الشرق والغرب .

وهذه « الثورة الصناعية » عبارة عن مجموعة الاختراعات التى اكتشفت منذ هذا الوقت وإلى نحو قرن بعد ذلك فى عالم الصناعة ، ومنها اكتشاف القوة البخارية وطرق استخدامها وتحسن صنع الآلات وازدياد تنوعها ، ومعرفة استغلال المناجم ، وتقديم الوسائل المستعملة فى صناعة النسيج والتعدين والبناء وغيرها ، وما أدى إليه ذلك من إيجاد وسائل جديدة للنقل وسرعة المواصلات باختراع القاطرات والسفن البخارية التى أخذت تربط الأقطار البعيدة بعضها ببعض ، ونحو ذلك .

وكانت إنجلترا أسبق الدول إلى الانتفاع بآثار تلك الثورة ، وبدأت فيها الحركة الصناعية الجديدة ، فازداد رخاؤها ، بعد فترة انتقال واضطراب ، وصارت فى أثناء القرن التاسع عشر أغنى الدول الأوروبية وأقواها .

وكانت قد ذهبت إلى الهند أولاً للتجارة ، ثم أخذت منذ منتصف القرن الثامن

عشر تقلد فرنسا في طرقها الاستعمارية ، وتمكنت بعد ذلك من التغلب عليها ، والقضاء على نفوذها ؛ وحلت محلها . وتحولت « شركة الهند الشرقية » إلى جيش استعماري قوى يستخدم كل الوسائل ، حتى المجافية لقواعد الأخلاق والعدالة ، لكي يستغل الشعوب الهندية . وجاءت نتائج الانقلاب الصناعي فسلحت الاستعمار بسلح جديد ماضٍ بتار ، أخذت انجلترا تستعمله بلا هوادة وبدون شفقة أو رحمة .

وبذا بدأ عهد استعمارها بحق ؛ وأخذت تلك الدولة ، التي كانت فقيرة محصورة في جزيرتها ، تملك امبراطورية شاسعة الأطراف ، كانت سبب رخائها وأساس قوتها . وهنا في القارة الهندية احتكت انجلترا لأول مرة ببعض الشعوب الإسلامية ، في إقليمى البنغال والبنجاب (اللذين سيكونان في المستقبل الباكستان الشرقية والغربية) وهكذا أخذت تتسلل إلى العالم الإسلامى من الباب الخلفى ، وتثبت أقدامها في تلك النقاط الضعيفة البعيدة . ثم تطورت علاقاتها بعد ذلك مع الهند ، وأخذت تفكر أيضاً في علاقات جديدة مع دول الشرق الأوسط الواقعة على الطريق إلى الهند وكانت تؤلف الأجزاء الهامة للدولة العلية . وهى القلب النابض للعالم الإسلامى . ومن ثم بدأ الدور الخطير للاستعمار ؛ وهو ما سنفصل أمره في المقال التالى . ثم نتكلم على مصيره إن شاء الله .



فليسمع زعمائونا

عن أبى موسى قال : دخلت على النبی صلی الله علیه وسلم أنا ورجلان من بنى عمى ، فقال أحدهما : یا رسول الله أتمرنا على بعض ما ولاك الله عز وجل ، وقال الآخر مثل ذلك ؛ فقال : « إنا والله لا نولى هذا العمل أحدا يسأله أو أحدا حرص عليه » .
« نيل الأوطار »

نظرات في السعادة

للأستاذ عبد العزيز عطية

المراقب المساعد بمنطقة دمنهور التعليمية

السعادة

هي شعور النفس بالطمأنينة والراحة والسرور عند مزاوله العمل وبعد تمامه وتحصيل نتائجها ، وقد تكون السعادة هي اللذة والخلو من الألم — الألم النفسي والألم الجسمي — ويقول أرسطو في كتاب الأخلاق : إن السعادة هي الخير ، ويعرف الخير بأنه هو موضوع جميع الآمال . ولا شك أن الآمال التي يسعى الإنسان لتحقيقها يسعد إذا حصل عليها ، ويسر بنيلها ، وترتاح نفسه ويطمئن فؤاده بها . نسجع كثيراً مايقوله الناس : إن فلاناً سعد بزوجة صالحة أو بربح كثير في تجارته أو بمحصول عظيم من ضيعته أو بنجاح أبنائه وتقلدهم مناصب حسنة أو بأكل شهي ولباس جميل أو بقضاء فترة طيبة في الراحة والزهه واللعب . وقد يقال : إن أمة سعيدة بحكامها ونوابها وقوانينها لأنهم يوفرون السعادة والخير لها . كما يقال : إن أسرة ما سعيدة بما توافر لها من أبوين كريمين وأبناء وبنات صالحين وعيش رغيد وصحة تامة .

والناس يطلقون السعادة على ما به تحصيل اللذة والسرور فترة من الزمن ، وهو إطلاق غير صحيح كما رأينا في معظم الأمثلة السابقة ؛ إذ يخلطون بين اللذات العاجلة والسعادة التي من شأنها أن تكون طويلة المدى . ومطالب الإنسان المادية والحسية هي التي تحصل اللذة بتحصيلها ، ولا تسمى هذه اللذة سعادة ؛ إنما السعادة أن تسعى في الخير سعياً متصلاً يشقى به جسمك وتفارقك راحتك ، ولكنك تنتظر منه أملاً كبيراً يسر به قلبك ، ويطمئن إليه فؤادك ، وينشرح به صدرك ، وتحسبه في عداد محامدك ومآثرك ، وتنتظر عليه الثواب من الله ، وقد يحمذك الناس له ويذكرونه لك . ولكن قصارك أن ينتفع الناس بما أتيت ، سواء ذكروه لك أو لم يذكروا ، فإنك لا تمن به بل تفعله من تلقاء نفسك وكفاك أنك فعلت المحمده لذات الخير . وهذه السعادة قد يشعر بها الإنسان زمناً طويلاً وهي تتجدد بتجدد أفعال الخير ، وقد يدوم بها السرور طول الحياة . فالطبيب الذي يعمل دائماً في علاج أبناء وطنه ولو بالأجر الكثير تراه يسعد بما يحصل

عليه من نتائج حميدة في استئصال آفة مزمنة أو إنقاذ من يشرف على الهلاك بعلّة قاتلة ومرض فتاك ، وقد تتجدد سعادته كلما كشف بتجاريبه علاجاً ناجعاً لمرض حير الأطباء . والمرشد الواعظ يسعد بما يرى من انتشار طائفة من الناس من الشقاوة إلى السعادة ، ومن ظلمات الشر إلى نور البر بوعظه وهدايته لأنه زكاهم وطهرهم ووصلهم بالإنسانية الكريمة واستدّهم من الضلال .

والقاضي الذي يشقى ويجهد لتوزيع العدالة بين الناس ، واستخلاص الحقوق لأصحابها من الظلمة والظفارة ، والذي لا يميز في قضائه بين ذوى الجاه وعامة الشعب ، وبين الثرة وذوى التربة ، وبين الخاصة والظعام إذا مثلوا أمامه فسوى بينهم في وجهه ومجلسه وأعطى كل ذي حق حقه . هذا القاضي وأضرابه على ما يجدون من عناء يبيتون على راحة البال وهدوء الضمير ، وهم دائماً حاذرون أن يميلوا أو يضلوا أو يحابوا أو يتبعوا هوى . وتلك سعادتهم التي تلازمهم .

والقائد الذي يطوى نهاره وصدر ليله في رسم الخطط ويتنقل بين جنده ويشجذ العزائم ويجدد القوى ويتعرف مصادر الخطر وموارده ويفرى بالعدو وبالنصر إنه — بالرغم مما هو فيه من عناء وكد وما عليه من تبعات وأعباء — سعيد بما امتلأ به قلبه من قيام بواجب الدفاع عن فكرة وطنية أو أمة مظلومة أو حدود موطوءة أو وطن مغلوب أو دفع عدو باغ لأنه يحقق الخير لأُمته ويدفع عنها كيداً .

ويرى مكدوجل أنه لا بد من التفريق بين اللذة Pleasure والسرور Joy والسعادة Happiness ويرى أن هذه مراحل تصاعدية لما يحسه الإنسان من معنى السعادة أو اللذة ؛ فاللذائذ تكون في المأكل والشرب والملبس والركب والسكن ، وهي تهون دائماً ولا تبقى إلا يسيراً ، وقد يفقد الإنسان اللذة بها بالتكرار والمزاولة الدائمة كاللذي يأكل المآكل الشهية والألوان الكثيرة فإنه يفقد اللذة بها بعد تكرارها . وكذلك الحال في المراكب والمساكن والملابس . أما السرور فقد يكون أطول عمراً من اللذة كالسرور بنجاح الأبناء أو شفاء المريض أو لقاء الصديق . أما السعادة فهي أجل من ذلك وأقوم ، وقد تستمر طول الحياة ، لأنها مرتبطة بما يحققه الإنسان من أغراض الخير للبشرية أو الجماعة . وكلما كانت شخصية المرء متكاملة كانت سعادته أديم وأبقى وأعلى منزلة ، ولذا تراه يقول : إن السعادة في تكامل الشخصية . ومكدوجل يتفق مع أرسطو وغيره في كثير من مواضع هذا الرأي . ويقول الدكتور القوصي في كتابه « أسس الصحة النفسية » : ولكن السعيد حقاً هو ذو الشخصية القوية

الذي يعمل دائماً على تحقيق غرض سام خاص ، والذي لا تتعارض حاجياته مع صالح الإنسانية ، وربما كان أقرب الأمثال لذلك الأنبياء الذين لم يسعدهم المأكل والملبس أو يشقهم الجوع والطرْد والإهانة ، ولم يسعدهم كثرة الأولاد ، ولم يشقهم فقرهم ؛ وإنما كان يسعدهم أمر واحد هو الجهاد والسعى لتحقيق الفكرة السامية .

إذن فقد اتفق أهل الرأي على أن السعادة الحقة ليست إلا الخير والفضائل التي بها تحيا الإنسانية حياة طيبة شريفة ، ويشعر بها الفرد شعوراً متصلاً ، وتحسها الجماعة إحساساً عميقاً يسير معها في الحياة . والسعادة ثمرة الفضائل التي يتحلى بها الفرد والجماعة .

وكثير من الناس يعنون بتحصيل السعادة لأنفسهم قبل كل شيء ، فيقبلون عليها يستكملون فضائلها ويهذبونها ويوجهونها الوجهة الصالحة ، ويجعلون الإصلاح الفردي الشخصي أساس الخير ، وقد لا يعتمدون دائرة الأسرة . وقد يكون ذلك نتيجة الأثرة الإنسانية التي غرست في البشر ، وقد يكون ضناً من الفرد بكرامته أن تهدر ويهدوئه أن يثار وبراحته أن تتبدد ، إذا ما عرض للناس يزيكهم ويرشدهم ويدعوهم إلى الخير ويقف في طريق الشر وأهل البغي ، وقد يعتمدون في ذلك على قول الله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » دون أن يتقيدوا في ذلك بقول الرسول الأمين صلوات الله عليه في بعض حديث أبي ثعلبة : « لأنكم تجدون على الخير أعواناً ولا يجدون عليه أعواناً » ولا غرابة فيما ذهب إليه هؤلاء فإنه مذهب قديم لأحد فلاسفة اليونان أبيقور Epieurus وتبعه فيه كثيرون واستمر مئات السنين ، غير أن كثيراً من الناس اتهم هذا الفيلسوف بالنفعية المادية والإباحية الخاصة ، ولكنه كان على غير ذلك . وأعتقد أن قعود الكثيرين من أهل الخلق في هذا الزمان يتهجون هذا النهج ، فيكتفون بإصلاح ذاتهم ولا يتعدون ذلك إلى المجتمع ، ولا يكفون أنفسهم عناء الجهاد في دفع الشرور عن الأمة ويؤثرون العافية ولا ينكرون على المجرمين جرائمهم ، ولا يحضونهم على الخير مكثفين بأضعف الإيمان ، إذ يقولون : لقد فسد الزمان واستشرى الشر وأعزل الداء وانصرف الناس عن الموعظ ، وقد لا نجد على الخير أعواناً اتباعاً لهذا الرأي ، وقد يجدون السعادة إذا قرنوا أعمالهم بأعمال غيرهم ممن انغمسوا في الرذيلة من تدليس وغش ونهب وملق ورياء وانتفاع بالجاء الكاذب والكبر الحسيس وبذل المال في طريق الشر . نعم إن بين هؤلاء وبينهم بونا شاسعاً ، ولكني أقول لهم : إنهم مع ذلك لم يحققوا السعادة لأنفسهم لأن الأشرار سيطفون على خيرات الأمة ويستلبون أرزاقها وينكلون بالصالحين

منها ويرفعون الحسيس ويضعون الكريم ويشيعون الفحشاء بين الناس، وبذلك يعملون الحياة جميعاً يتدرج في شدته وقسوته من طبقة إلى طبقة حتى يعم الناس كافة .
فأين إذن تكون السعادة والناس يتقلبون في البأساء والضراء ؟ لهذا كان مذهب السعادة العامة الذي يتكافل فيه الشعب هو الذي يجب أن يسود الإصلاح الخلقي .
والرسول الكريم صلوات الله عليه يقول : « وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً »
والله يقول في الإيثار : « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً » .
ويقول : « والذين تبوءوا الدارَ والإيمانَ من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » . على هذه المبادئ السامية عاش المسلمون الصالحون ، وهي المبادئ التي نريد أن نربي عليها الجيل الجديد من أبناء المسلمين ليم التضامن والتكافل بينهم فيعيشوا معاً على محبة خالصة ومحبة واضحة لا متحاسدين ولا متباغضين ولا متناكرين .

يجب أن يتعلم التلميذ في المدرسة وفي المنزل أن لذة الطعام والشراب واللباس وجمال السكن والمركب ورفاهة العيش والتقلب في أعطاف النعمة لا يكون بها المرء سعيداً، وأن تحقيقها له وحده دون غيره ليس هو السعادة ، وأن أترابه وإخوته وإخوانه لابد أن ينالوا كما ينال ، وأن إيثار المحتاج بالفضل من نعمته واجب عليه وأن آلام الغير تؤلمه وتؤذي ، وأنه يتساوى مع زملائه في المدرسة وإخوته في المنزل حتى يحس السعادة الحقة . كما يجب على الأبوين في المنزل والمعلمين في المدرسة أن يسووا بين الأبناء في المعاملة حتى لا يثيروا فيهم نزعات الاستئثار وحب الاستيلاء ، وحتى لا يزرعوا العداوة والبغضاء والحسد بينهم وأن يرتبوا الثواب والعقاب على الخير والشر ليعلموهم العدالة في الجزاء . كما يجب عليهم ألا يدللوا الأطفال ولا يتركوا لهم الحبل على الغارب يفعلون ما يشاءون وينالون كل ما يطلبون ، وأن يخلطوا في معيشتهم بين الحشونة والنعمومة القليلة سواء في المأكل والملبس والنوم لأن حاجات النفس لا تنقضى ، والإنسان الذي يحقق رغبة يتطلع إلى غيرها .

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تنقع

يجب أن يتعلم الأبناء أن السعادة ليست في قضاء مآربهم ، وإنما في تحقيق الخير للوطن وأهله ، وأن الذين يوجهون كل جهودهم إلى تحصيل لذائذهم ليسوا هم السعداء وإنما سعادتهم الموهومة لذات فانية وأعمال باطلة . يجب أن يحمل الأبناء على الأعمال التي يحسون فيها ألماً ومرارة وتكون النتائج الرجوة فيها حميدة ليتعودوا تحمل المشاق

وركوب الأخطار والصبر على المكروه لأن الدنيا ليست نعمة مقيمة ولاراحة دائمة ولأن الذي لايزرع لايمحصد ، والذي لايكد ولايتعب لايجد الثمرات النافعة ولا النتائج الحميدة . يجب أن يتعلم الأبناء والبنات أن في الحياة قسوة لابد أن يلاقوها ومرارة لابد أن يذوقوها وغصصا لابد أن يتجرعوها، وأن أمامهم عقداً عليهم أن يحلوها وعقبات عليهم أن يذللوها، وأن يتعلموا أن لا تواكل ولا تنكأ ، وأن يشاركوا في جميع الأعمال سواء في المنزل والمدرسة وأن يمارسوا ذلك فعلا في دروس الكشف والألعاب وفي الرحلات وجميع أمور النشاط المدرسي ليتعودوا حمل الأعباء والاهتمام بجميع الأمور. والوالدون والوالدات والمعلمون والمعلمات مسئولون عن ذلك كله لأن تعويد الحدث في سن الحداثة مزاوله هذه الأعمال يعودهم مزاولتها في كبرهم فلا يترفعون ، ولا يستنكفون وفي الحياة تقلبات، ونعمتها لاتدوم والرسول يقول : (اخشوشنوا فإن النعمة لاتدوم) .

إن الفرص التي يجدها المعلمون والمعلمات في المدرسة لإنماء شخصية البنين والبنات وحراستهم في تصرفاتهم لاسيما في عهد المراهقة وإفساح مجال الفضيلة وتنحيتهن عن مزاوله الرذائل مع التوجيه الدائم للخير والصالح يجب أن تهتبل في حينها ، وهى لاتتاح للأباء والأمهات لاسيما في بلادنا ، ولهذا كان العبء الملقى على المدرسة ثقيلًا وكان لابد لهذا العبء من أبطال يحملونه بمهارة وأمانة وتجربة ودراية ، أما أن يدعى لهذا العمل من لا يحسنونه ولا يستطيعون الاضطلاع به فشأن النتائج المحتومة فيه شأن النتائج التي يصطدم بها مريض استوصف لدائه غير طيب ، أو متنازعان تحاكما إلى غير قاض . أو بان لمنزل التمس لبنائه حدادا أو نجارا ، وإلا فلماذا لا يقيس الناس عمل غير المعلم المربي في الأبناء بعمل هؤلاء الذين لادراية لهم بفن غيرهم ؟ لأن الضرر السريع ليلحق بالأبناء كما يلحق صاحب المنزل الذي لا يلبث أن يهدم من منزله الجزء الذي يبنيه له النجار أو الحداد أو صانع القطير ؟ أو أن فعل العقاقير السامة أو التي تزيد المرض التي يصفها غير الطبيب للمريض قد تقضى عليه في الحال فتبدوا النتائج محزنة ظاهرة ؟

ألا يعلم الناس أن أثر هؤلاء المعلمين غير الفنيين في عقول الأبناء وأخلاقهم كأثر العقاقير غير الملائمة للمرض في المريض ؟ ألا يكفهم ما وصل إليه الحال في المدارس من الجهل والفوضى مما يزيد على الزمن بلاء وضرراً ؟ لأن اللسان الذي يشكو به المجتمع والأنين الصارخ الذي يحزن القلب ويؤلم النفس لا يجد الآذان التي تعيه والعقول التي تصدق في ترجمته وتوضيحه للشعب وتبين أسبابه وتبعاته ؟ إنها مدهانة السياسة وتخلق الأحزاب والطفره وأخذ الأمر بدون عدة . والفرم على الأمة وحدها .

نعود فنقول ما الذى يحقق السعادة للفرد والمجتمع ؟ .

إن الذى يحقق هذه السعادة هو التربية الصالحة فى ظل القوانين الصالحة والحكام الصالحين ، فإذا فرضنا أن بالدولة مربين صالحين ومرشدين هادين يؤدون واجبهم فى المدرسة والمسجد والمجتمع وقاموا بما يزكى النفوس ويصلح العقول ، ثم يخرج التلاميذ من بين يدي المعلم والمستمعون من بين يدي الواعظ والمستمعون للخطيب بالمسجد يخرجون إلى الشارع فيجدون الفضيلة المذبوحة والقوانين السقيمة والسيئات الغاشية والنفس والحداع والضلال والمحتالين فماذا يجديهم تعليم المعلم وعظة الناصح ؟ الحق أن القوانين الصالحة هى التى تحمى التعاليم الصحيحة حتى تستقر فى نفوس الناس وتضطبع بها حياتهم . ولكن كل ذلك يحتاج أيضاً إلى حاكم صالح تزيه مؤمن بهذه القوانين منفذ لها . وحينئذ يخلو للفضيلة الجو الصالح وتهاى لها الحياة فتثمر ثمرها وتؤتى خيرها .

والحق أن الحكومة والأمة متضامنون فى تحقيق السعادة للشعوب وأن الأمم جميعاً والحكومات جميعاً متضامنون فى تحقيق السعادة للعالم . ولهذا كان الإسلام ديناً عالمياً ينتظم الناس جميعاً بقوانينه الصالحة ونظامه الشامل ليوحد كلمتهم ويحقق الخير لهم .

وفى البلاد ذات النظام النيابى التى يتولى البرلمان تشريع القوانين فيها تقع تبعة السعادة الفردية والشعبية على عاتق البرلمان والحكومة المختارة منه إذ هى المسئولة عن نزاهة الحكم وحسن التنظيم وإنفاذ التشريع واقتراح القوانين الصالحة .

والشعوب تضع ثقها فى وكلائها الذين أنابتهم عنها ، والنواب يختارون الوزراء من بينهم ويراقبون أعمالهم ويسددونهم عند الانحراف ويسقطونهم إذا أخطأوا وأصروا على الخطأ ، فخير الحكم من الشعب وإليه ، وشره كذلك . ولهذا كان لابد للشعب من رأى عام بصير يوجه سياسة الحكم فيحسن اختيار نوابه وهم يحسنون اختيار الوزراء . ولا يتأتى ذلك إلا بالتربية الفردية على يد المعلمين فى المدرسة والجامعة والتربية الجماعية على يد المرشدين والهداة فى الجماعات والمساجد وفى مجالس الوعظ وفى المناسبات السياسية والدينية .

والقوانين الصالحة تقاس صلاحيتها بما تحققه من الخير والسعادة للناس . ويوزن ذلك الخير بميزان الفضائل الخالصة التى تهدي إليها العقول السليمة والكتب السماوية . أما أن يكون القانون محققاً لبعض الخير ثم يكون له من الآثار فى هدم الخلق والدين

مابه يهد جوانبهما فذلك ملاسبيل إلى قبوله واحترامه ، كما ترى مثلاً في قانون إجازة المراهقات التي يقطع الشرع بتحريمها فإن كسبها يحقق بعض الخير في المبرات ولكنه كسب حرام ورجس أثيم ، وهكذا ترى من القوانين مالم يراع فيه جانب الفضيلة وإنما يراعى فيه الربح المادى فقط ، وذلك أمر شنيع ومحنة قاسية . هذه القوانين لا تحقق السعادة للأمة والأفراد وهى لذلك لا تستحق الاعتبار والاحترام بل تستحق الإغفال والمعيان . كذلك الحكام الذين يديرون أمور البلاد ويقومون على تنفيذ قوانينها إن لم يكونوا مخلصين في التنفيذ يسوون بين الناس في المنافع ويسوون بينهم في الجزاء فإنهم لا يحققون السعادة للأمة كالحاكم الذى يفضل قريبه أو الذى من حزبه أو الموصى به على صاحب الحق أو يمهده للافلات من العقوبة والاستيلاء على مائيس من حقه أو أكثر من حتمه كما هو الحال في توزيع أراضى مصلحة الأملاك على أفراد حزب بعينه أو تمكينهم من الخديعة التي يستولون بها على مائيس من حقهم ، وكما هو الحال فيمن ينتهزون الفرص من الوزراء فيحولون مشروعات الرى والصرف وإنشاء الطرق والجسور على الترع أو على النيل لصالحهم الخاص أو لصالح قوم من حزبهم . هؤلاء الحكام يستحقون غضب الله والشعب ويحققون الشقاء للأمة ويزرعون الحقد والبغضاء بينهم بسبب الجور والظلم وهدم صرح العدالة .

إن هؤلاء جميعاً لا يصاح بهم حكم ولا يرقى بهم وطن ولا ينتظم بعملهم أمر الدولة إنما هم نفعيون انتهازيون يجب أن يؤدبهم الشعب بإبعادهم عن مناصب الحكم واحتقارهم في غدوهم ورواحهم .

وإذن فواجب الحكومة أن تكون ميزاناً صادقاً في توزيع الحقوق والواجبات « وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » وبذلك تتوفر السعادة للأمة جميعاً ويؤدى كل واجبه لأتمته فإن كل راع مسئول عن رعيته « ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

مع العارفين

سلمة بن دينار

قليل من الناس من يعرف أبا حازم الأعرج سلمة بن دينار ! وأكثر هؤلاء لا يكاد يعرفه إلا راوياً للحديث عن سهل بن سعد وأنس بن مالك وابن عمر ومعاوية بن المسيب وعروة بن الزبير وطلحة بن عبيد الله وعطاء بن أبي رباح وآخرين . . . أما سلمة بن دينار ، المؤمن المشعر إلى ربه ، وصاحب القلب المشرق بالنور ، والقعدة الصالحة للساكنين . . . فذلك أمر أغفلته أكثر « كتب العلم » أو لم تتسع له ، وإن وسعته عين الله التي يعلم السر والنجوى ، ووعته موازين السماء التي تحكم السر وأخفى . . . كان سلمة يعيش في معاني الآخرة يومه وليله . . . ، وكان يأخذ بها نفسه أخذاً أليماً شديداً . . . فهو الذي يقول : لو نادى مناد من السماء بأمن أهل الأرض من دخول النار ، لحق عليهم الوجل من حضور ذلك الموقف ومعاينة ذلك اليوم . . . وهو الذي يحدث نفسه في خلوته بحاسنها فيقول : « يا أعرج ، ينادى يوم القيامة : يا أهل خطيئة كذا وكذا ، فتقوم معهم ، ثم ينادى يا أهل خطيئة أخرى فتقوم معهم ، فأراك يا أعرج تريد أن تقوم مع أهل كل خطيئة ! » — ويمسك بلجامها بمثل قوله يخاطبها : « اعلم أنك إذا مت لم ترفع الأسواق بموتك ، إن شأنك صغير فاعرف نفسك . . . » وروى جرير أن سلمة كان يمر على الفاكهة في السوق فيشتريها فيقول : موعذك الجنة !

كان رحمه الله ذكي العاطفة مرهف الوجدان . . . لا يرى مع الله شيئاً غيره . . . ولا يحجب بصيرته المتلاثلة عن وجه الله حجاب . . . يقول : « إن الشيطان إذا استمكن من قلب امرئ لم يبال ما صنع ولو صلى حتى يسقط لحم وجهه ! » — يقول سعيد ابن عبد الرحمن : سمعت أبا حازم يقول : « إن العبد ليعمل الجنة ثم يهين بها ،

وما خلق الله من سيئة أضر له منها . وإن العبد ليعمل السيئة حتى تسوء حين يعملها ؛ وما خلق الله من حسنة أنفع له منها . وذلك أن العبد ليعمل الحسنة تسره حين يعملها فيتجبر فيها ، ويرى أن له بها فضلاً على غيره ، ولعل الله تعالى أن يحبطها ويحبط معها عملاً كثيراً . وإن العبد حين يعمل السيئة تسوء حين يعملها ، ولعل الله تعالى يحدث له بها وجلاً يلقي الله تعالى وإن خوفها لفي جوفه باق » ؛ وسمعه سفيان بن عيينة يقول : « إنى لأستحي من ربي عز وجل أن أسأله شيئاً فأكون كالأجير السوء إذا عمل طلب الأجرة ، ولكنى أعمل تعظيماً له . . . » . كان سلة في يقظة دائماً يحيا بها مع الله على حد كحد السيف ، ويرى ذلك مقتضى الإيمان في المؤمن ؛ ومن وصاياه : « ينبغي للمؤمن أن يكون أشد حفظاً للسان منه لموضع قدميه » . .

وإنك ليدعشك وأنت تطالع هذا الجمال في قلبه الكبير ، أن تراه لا ينطوى عليه انطواء المنقطع عن الناس في صومعة ، بل تراه قوياً به على كل منكر ، جريئاً به في الحق لا يخشى لومة لائم . . . يقول ابن أبي كثير : دخل سليمان بن عبد الملك المدينة حاجاً فقال : هل بها رجل أدرك عدة من الصحابة ؟ قالوا : نعم ! أبو حازم . فأرسل إليه ، فلما أتاه قال : يا أبا حازم ما هذا الجفاء ؟ قال : والله ما عرفتني قبل هذا ولا أنا رأيتك فأنى جفاء رأيت مني ؟ فالتفت سليمان إلى الزهري قائلاً : أصاب الشيخ وأخطأت أنا . يا أبا حازم : ما لنا نكره الموت ؟ فقال : عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون الخروج من العمران إلى الحراب . قال : صدقت . فقال يا أبا حازم : ليت شعري ما لنا عند الله تعالى غداً ؟ قال : اعرض عملك على كتاب الله عز وجل . قال : وأين أجده من كتاب الله تعالى ؟ قال : قال الله تعالى : « إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم » . قال سليمان : فأين رحمة الله ؟ قال أبو حازم : قريب من الحسين . قال سليمان : ليت شعري كيف العرض على الله غداً ؟ قال أبو حازم : أما المحسن كالغائب يقدم على أهله ، وأما المسيء كالآبق يُقدم به على مولاه . فبكي سليمان واشتد بكاءه ، ثم قال : يا أبا حازم : كيف لنا أن نصلح ؟ قال : تدعون عنكم الصلف وتتمسكون بالروءة وتعدلون . قال : يا أبا حازم وكيف المأخذ من ذلك ؟ قال : تأخذ بحقه وتضعه بحقه في أهله . قال : فما أعدل العدل ؟ قال كلمة صدق عند من ترجوه وتحافه . قال : فما أفضل الصدقة ؟ قال : جهد المقل إلى يد البائس الفقير لا يتبعها من

ولا أذى . قال فما أسرع الدعاء إجابة ؟ قال : دعاء المحسن المحسنين . قال :
يا أبا حازم من أكيس الناس ؟ قال : رجل ظفر بطاعة الله تعالى . فعمل بها ثم دل
الناس عليها . قال : يا أبا حازم هل لك أن تصحبنا وتصيب منا ونصيب منك ؟ قال :
كلا ! قال : ولم ؟ قال : إني أخاف أن أركن إليكم شيئاً قليلاً ، فيذيقني الله ضعف الحياة
وضعف الممات ثم لا يكون لي منه نصير . قال : يا أبا حازم ، ارفع إلى حاجتك . قال :
نعم ! تدخلني الجنة وتخرجني من النار . قال : ليس ذلك إليَّ . قال فما لي حاجة سواها .
قال : يا أبا حازم ، فادع الله لي . قال : نعم ! « اللهم إن كان سليمان من أوليائك
فيسره لخير الدنيا والآخرة ، وإن كان من أعدائك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى »
قال يا أبا حازم : أوصني . قال : نعم ! سوف أوصيك وأوجز : نزه الله تعالى وعظمه
أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك ! ثم قام فقال سليمان : يا أبا حازم ،
هذه مائة دينار ، أنفقها ولك عندي أمثالها كثير . فرمى بها وقال : والله ما أرضاها
لك ، فكيف أرضاها لنفسى ؟ إني أعيزك بالله أن يكون سؤالك إياي هزلاً ،
وردي عليك بدلاً ! ! إن كانت هذه المائة دينار عوضاً عما حدثتك ، فالمينة
والدم ولحم الخنزير في حال الاضطراب أحل منه . وإن كانت من مال المسلمين فلا حاجة
لي فيها . إن بني إسرائيل لم يزالوا على الهدى والتقى حيث كان أمراؤهم يأتون إلى علمائهم
رغبة في علمهم ، فلما نكسوا وسقطوا من عين الله تعالى وآمنوا بالجبت والطاغوت
كان علماءهم يأتون إلى أمرائهم ويشاركونهم في دنياهم . . . »

ألست ترى في كلمات سلمة مصداق ما قاله زيد بن أسلم عنه : ما رأيت أحداً الحكمة

أقرب إلى فيه من أبي حازم . . . ؟

وإنك لتقرأ مع ذلك ما حفظه الرواة من آثاره ، فتعجب له كيف كان يتكلم !
وتأنس إلى نور من النبوة يتردد في صدره ؛ فهو به على قدم نبيه الذي أوتي
جوامع الكلم ! يروي ابن عيينة أن سلمة دخل على أمير المدينة ، فقال له : تكلم .
فقال : « انظر الناس يبابك : إن أدنيت أهل الخير ، ذهب أهل الشر ، وإن أدنيت
أهل الشر ، ذهب أهل الخير » .

ويذكر يعقوب بن عبد الرحمن أنه قال : « شيئان إذا عملت بهما أصبت بهما
خير الدنيا والآخرة ، ولا أطيل عليك . قيل : وما هما ؟ قال : تعمل ما تكره

إذا أحبه الله ، وتكره ما تحب إذا كرهه الله عز وجل .

ومن كلامه : « رضى الناس بالحديث وتركوا العمل » و « ما مضى من الدنيا فحلم ، وما بقى فأمانى » و « أفضل خصلة ترجى للمؤمن أن يكون أشد الناس خوفاً على نفسه ، وأرجاه لكل مسلم » .

ويقول عن إبليس : « وما إبليس ؟ والله لقد عصى فهاضر ، ولقد أطيع فما نفع ا »

هذا هو « سلمة بن دينار » فى آفاقه العالية ، وما أعجب أن تراه وهو محلق فيها ، قريباً من ذوى الهمم الكليّة ، يؤدّبهم بمثل قوله : « قد رضيت من أحدكم أن يُبقى على دينه كما يبقى على نعليه ا » .

وأعجب منه أن تسمعه يقول : « إني لأعظ وما أرى للموعظة موضعاً ، وما أريد بذلك إلا نفسى ا » .

سنة

الدين الإسلامى هو السنة التى وضعها الله للناس كما وضع السنن الكونية الأخرى للشمس والقمر والحيوان والنبات وكل ما فى السماوات وما فى الأرض وما بينهما . .

مسند الرضوي

فِي طَرِيقِ الْبَشَرِيَّةِ

الذَّل ...

هُنَاكَ ! هُنَاكَ وِراءَ السَّنِينَ . .
وَقَفْتُ عَلَى قُرْبِ هُدْبِ يَتِيمٍ
إِذَا هَفَّ أَبْصَرَتْ طَيْراً يَنْوَحُ
وَإِنْ مَالَ مَالَتْ جَمِيعُ الرِّزَايَا
حَسَبْتُ الْخَطِيئَةَ فِي طَرَفِهِ
مُلْعَمَةً لَا تَطِيقُ الْكَلَامَ
وَحِلْتُ عَلَى لِحْظِهِ رَاحَتَهُ
عَلَيْهَا سُؤَالٌ . . قَدِيمُ السُّؤَالِ
وَمَرَّتْ عَلَيْهِ جِياعُ الْعُصُورِ
وَأَبْصَرْتُ فِي عَيْنِهِ ضَارِعاً
وَتَأْوِيَةً مِنْ بَقَايَا ضُلُوعِ
هَوَى وَنَحْطَمٍ مَلَأُحَهُ
وَضَاعَ بِهِ الْمَوْجُ تَحْتَ الرِّيَّاحِ
وَفِي وَجْهِهِ مِنْ لِطَامِ الْأَكْفِ
تَزْجَرُ فِيهَا سُيُولُ الْهَوَانِ
وَأَوْكَارُ بَوْمٍ طَوِيلِ النَّمِيمِ
وَفِي زَحْمَةٍ مِنْ خُطَا الْعَابِرِينَ
تَوَارَى مِنَ الْخِزْيِ تَحْتَ الْجَبِينِ
وَجُرْحاً يَبْوَحُ بِشَيْءٍ دَفِينِ
وَحَطَّتْ عَلَيْهِ بُرُزْدُ مَهِينِ
مُلْتَمِسَةً الْمَارِ تَخْفَى الْأَنْبِيَاءُ
وَإِنْ كَلَّمْتُ غَمَمْتُ بِالرَّنِينِ . .
مُسَدَّدَةً الْكَفَّ لِلسَّائِرِينَ
تَسْوَلُ إِغْفَاءَةَ السَّامِعِينَ
وَمَا زَالَ يَنْسَطُ تِلْكَ الْيَمِينُ . .
عَلَى خَدِّهِ لَطْفُ الظَّالِمِينَ
تُحَدِّثُنِي عَنْ بَقَايَا سَفِينِ
وَضَاعَتْ بِهِ سِيرَةُ الْفَارِقِينَ
وَتَحْتَ الدَّجَى الْمُسْتَعِدِّ لِلْعَيْنِ . .
أَخَادِيءُ مِنْ صَفْصَفَةِ الضَّارِبِينَ
وَتَهْدِرُ بِالْمَلْعِ الْمُسْتَكِينِ
يُهَاتِي وَيَصْرُخُ لِلتَّاعِسِينَ

وَشَوْكَ ، وَهَلَكَ ، وَمَثْوَى قُبُورٍ وَمَأْوَى دُهُورٍ مِنَ الْهَالِكِينَ
وَوَظْهَرُ تَحَنَّى ، وَسَوْطُ تَدَنَّى لِيَكْرَعَ مِنْ لُجَّةِ الرَّاكِعِينَ
وَنَفْسٌ يَعْفُ ذُبَابُ الْفَنَاءِ عَلَى آدِمٍ لَدَيْهَا سَجِينٌ ..
أَخَى مَا دَهَاكَ .. فَلَمْ يَبْقَ فَيْكَ لِبَاغٍ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا ظُنُونُ
تَلَاشَيْتَ فِي كُلِّ شَيْءٍ تَرَاهُ كَأَنَّكَ مِنْ دُونِهِ لَنْ تَكُونَ
وَأَمَعْتَ حَتَّى سَبَقْتَ الْقَطِيعَ إِلَى حَيْثُ يَنْتَظِرُ الْجَازِرُونَ

حَلَفْتُ .. بِذَلِكَ بَيْنَ الْعِبَادِ وَإِغْمَاضِ طَرْفِكَ لِلنَّاطِرِينَ !
أَجِبْنِي أَنْتَ الَّذِي فِي طَعَامِي نَسَلْتُ حَتَّى خَاسَتْ الْبُطُونُ ؟
أَنْتَ الَّذِي قَدْ نَهَيْتَ الثَّمَارَ وَلَمْ تَدِرْ حَتَّى بَكَتْهَا الْغُصُونُ ؟
أَفِي قَاعِ بَطْنِكَ زَادٌ حَرَامٌ ؟ أَحَقُّ بِمَائِكَ لِلظَّامِّينِ ؟
أَلْغَضِبْتَ رَبَّكَ خَلْفَ الظَّلَامِ وَأَرْضِيَّتَهُ فِي خِصْمِ الْعُيُونِ ؟
أَكُنْتَ مَعَ الظُّلَمِ ، أَمْ دُقَّتْهُ وَوَرِثَتُهُ لَشَقَاءِ الْبَنِينَ ؟
وَصَاحِبَتَهُ وَهُوَ لَحْنٌ رَحِيمٌ وَأَنْتَ الصَّدَى وَالْمَدَى وَالشُّجُونُ !
طَعَامُكَ يُعْطِيهِ مُعْطَى الذَّمَالِ وَمَاؤُكَ يُجْزِيهِ مُجْرَى الْعُيُونِ ،
فَقِيمَ ارْتِضَاخِكَ تَحْتَ الْهَوَانِ ؟ وَتَقْوَاكَ لِذُلِّ طُولِ الْقُرُونِ ؟
ظَلَلْتُ أَسْأَلُهُ .. وَالْقَضَاءِ عَلَى رَأْسِهِ شَاهِدٌ لَا يَمِينُ
فَنَكَّسَ أَهْدَابَهُ لِلتُّرَابِ كَمَا كَانَ مُسْتَفْرِقًا فِي الشُّكُونِ
فَخَلَّوْهُ . يَقْتَاتُ مِنْ ذُلِّهِ حَصِيدَ الرِّزَايَا . وَقَوْتَ الْجُنُونِ !!

للأستاذ السيد عمر بهاء الأميري

قم أحي في الشرق الرميم يا شاعر البعث العظيم
يا نظرة في الغيب وا ثقة برحمن رحيم
يا فكرة مشبوبة بالعشق ، في قلب سليم
وبصيرة وهاجة الإدراك تنفذ في الصميم
يا فطرة الصديق الصرايح وقوة الحق القديم
وسجية الخير القراح السلس العذب العميم
يا مؤمناً « بالذات » إيمان الفتى الثابت الحكيم
يا موقناً بـ لودها إيقان ذي ثقة علم
قم وجه اللاهين بالذكرى إلى النهج القويم
صحح « ذواتهم » وأخرجهم من الليل البهيم
روح الفرنج - وإن تولوا - في كيانهم مقيم
فارجم بأنفسهم مكا من كل شيطان رجيم
واقطع بهم نار الوغى وأخرق بهم دنيا الهشيم
جرح العلى من مدعى الإصلاح وخاذل الميم
والمجد ليس ينال بالدعوى وبالصوت الرخيم
عبء الرسالة ليس لهواً إنه عبء جسم
القول دون الفعل لا يهدي الصراط المستقيم

طوبى لهم...

اسماحة الأستاذ السيد عبد الله كنون
عالم طنجه

طوبى لهم ، طوبى لهم ما كان أصلح بالهم !
قوم على أصل التبع رُدِ قد بنوا أخوالهم
نبذوا الهوى فتعلموا أن ينبذوا أحوالهم
وتخففوا من ثقلهم فتبادروا آمالهم
لم تلهم دنيا ولا حرص عليها غالهم
لما رأوها ، والمضى فيها نفوت منالهم
ورأوا لمحتوم مر الفناء ماله ما لهم
بتوا قطيعتها وقا موا يخطبون كما لهم
راموا حياة الخالدين فشمروا أذبالهم
وجروا إلى غاياتهم كى يسبقوا آجالهم
حتى إذا ختم اليقين بحقه أعمالهم
لم يؤخذوا عن غرة أو يستقلوا مالهم
فهم على سرر المحبة قد نصوا أئمالهم
يستبشرون بما لقوا ه ويفنون وصالهم
طوبى لهم ، طوبى لهم ما كان أصلح بالهم

إخواننا في تركستان الشرقية

● تقع التركستان الشرقية في قلب قارة آسيا ، يحدها شمالا سيبيريا وجنوباً كشمير والتبت ويحدها من الغرب التركستان الغربية وأفغانستان ، وشرقاً الصين وصحراء جوبي ومنغوليا ، وتبلغ مساحتها ١٨٢٤٤١٨ كيلو متر مربع وسكانها نحو ثمانية ملايين من النفوس ، ولغتهم اللغة التركية ، ٩٥ ٪ منهم مسلمون والباقي أقليات صينية ومنغولية ومنشورية .

الثروة المعدنية	المعدن	عدد المناجم	المعدن	عدد المناجم
الذهب	٢٥	رصاص	٣٢	
الفضة	١٦	بترول	٢٤	
الحديد	٤٦	نخم	٧٠	
اليورانيوم	٢	كبريت	١٣	
ولفرم	٢	زئبق	٢	
		صوديوم	٣٦	

● استولى الروس على التركستان الشرقية سنة ١٩٣٤ بعد معارك طاحنة مع القوات الوطنية ففتحت بذلك صفحة سوداء في تاريخ التركستان الشرقية بدأها الروس بزعج رجال الحكومة الوطنية في السجون حيث أعدموا فيها وعلى رأسهم الحاج خوجة نياز رئيس الجمهورية ، ومولانا ثابت رئيس الوزراء وأعضاء وزارته كما أعدم الزعماء وحكام الأقاليم والأعيان وعلماء الدين وألوف من الأبرياء وأحرقت المدن ونهبت وأخذت نحو مائة سيارة نقل تنقل نفائس مدينة (ايلي) وتحفها التاريخية شهرين كاملين إلى روسيا .

● من الأساليب الجهنمية (١) التي أباد بها الروس مائة ألف من المعتقلين :

- وضع خوذة حديدية على الرأس وإمرار التيار الكهربائي فيها لاقتلاع العيون من محاجرها
- ربط الرأس في طرف آلة ميكانيكية وبقي الجسم في أخرى ثم تدار كل من الآتين في اتجاهات مضادة .
- كي كل عضو من الجسم بقطعة من الحديد سخنة إلى درجة الاحمرار .
- تشييط جسم المسجون بأمشاط حديدية حادة .
- نتف كتل من شعر الرأس بعنف مما يسبب اقتلاع جزء من فروة الرأس .
- جعل المسجون هدفاً لرصاص الجنود يتمرنون عليه .
- إحراق المسجون بعد صب البترول عليه .

(١) لقد استعمل الانجليز بعض هذه الأساليب في عرب فلسطين أثناء الانتداب .

● اهتم الشيوعيون ببث سمومهم وأفكارهم في النشء الصغير وأخذوا يلقتونه المبادئ الشيوعية ، وحاربوا اللغة القومية والتاريخ القومى والآداب القومية ليقطعوا الطريق بين النشء وماضيهم وليدجهم في العنصر الروسى إلى الأبد .

● أنشأ الروس مؤسسة بوليس سرى تسمى ال ج . ب ا و للقضاء على الحركات المعادية لهم

● أجبروا الفلاحين على ألا يزرعوا شيئاً سوى القطن لكي ينفطوا حاجة روسيا منه ، وحرّموا الأهالى من زراعة القمح وأخذوا يرسلون من القمح كميات ضخيلة وأنواعاً رديئة إلى التركستان مقابل ما يأخذونه من القطن حتى شحت موارد الطعام واكتسحت البلاد بحجة خيفة ذهب ضحيتها لغاية سنة ١٩٣٩ ستة ملايين من التركستانيين .

● حارب الروس الدين الإسلامى حرباً لا هوادة فيها غربوا المساجد والمعاهد الدينية وحولوها إلى دور للهو واسطبلات للخيول ومسكنات للجنود . وأحرقوا الكتب الدينية والتاريخية وألغوا الحروف العربية وأرغموا الناس على استعمال الحروف الروسية . وقسموا البلاد إلى عدة أقسام مع أن السكان جميعاً من جنس واحد ولهم لغة واحدة وعادات واحدة ، ومسح الروس لغة أهل البلاد إلى خليط من الروسية والتركستانية حتى تعذر التفاهم بين سكان الولايات المختلفة .

● وما إن تنفس أهل التركستان الشرقية الصعداء بعد انسحاب الروس سنة ١٩٤٣ حتى بدأ الروس يضعون خططهم الشيطانية لمعاودة الاستيلاء عليها ونفذوا خطتهم سنة ١٩٤٩ حين زحف أكثر من ٢٥٠.٠٠٠ جندي من الصينيين الشيوعيين مجهزين بأحدث الأسلحة والعتاد الاستيلاء عليها . وكان الاحتلال في هذه المرة مزدوجاً تآزر فيه الروس والصينيون الشيوعيون

● وجه الروس اهتماماً خاصاً إلى ولاية (ايلي) التى تتمتع بميزات كثيرة فهى غنية جداً بالمعادن المهمة كالحديد والنجم الحجري كما أنها قريبة من التاي الغنية بمعادن البورانيوم والولفرام وذات موقع منيع جداً يجباها الشاهقة فضلاً عن بعدها عن متناول القاذفات المعادية وقربها من روسيا ، وقد استغلت روسيا هذه الميزات فأنشأت في هذه المقاطعة مصنعاً ذرياً .

● ويحتفظ للروس بقوات عسكرية هائلة في التركستان الشرقية تتجاوز المائة ألف جندي . وقد بدأ الروس في إنشاء مصانع أخرى للأسلحة الثقيلة والخفيفة ، كما أنهم قد بدأوا في إنشاء مدينة صناعية مهمة . وأنشأوا في المدة بين عام ١٩٣٣ ، ١٩٤٣ ١٣ مطاراً .

● للتركستانيين مطالب تلخص في :

- ١ — تبقى جامعة الدول العربية لقضيتهم وعرضها على مجلس الأمن .
- ٢ — مساعدة اللاجئين التركستانيين في مختلف البلاد الإسلامية . وتسهيل السبل لتعليم أولادهم
- ٣ — احتجاج الدول الإسلامية على روسيا والصين الشيوعية ومطالبتهم بالانسحاب من التركستان .

في أفق العالم الإسلامي

القدس بين الندويل واليهود...

بيت المقدس في خطر !!!

لسنا ندرى متى تزول هذه البلاءه التي أصابت المسلمين ! لأنهم لا يستيقظون — والنذر تتوالى بين أيديهم — حتى تقع الواقعة ! لانتا قد نعذرهم حين لا يبصرون في الظلام ولكن كيف نعذرهم بعد أن تطلع الشمس ويستبين وجه النهار ؟

لم يعض على معركة فلسطين إلا ثلاث سنين أو دون ذلك ، أعنى المعركة الهزيلة التي انتهت بؤامرة الهدنة الأولى ثم الثانية . . . وهي — على هزلها — كانت مسرحا تكشف في فضائح مخزية ، وأسفر فيه اليهود عن حقيقتهم الفادحة ذات الخالب والأنياب ، ورأينا رأي العين حقائق المصطلحات الكاذبة : « مجلس الأمن » و « الدول الكبرى » و « الضمير العالمي » ، وقرأنا بأحرف بارزة من ضحايا عزيزة وخسائر فادحة وآمال خائبة تفسير قول الله عز وجل « لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء : بعضهم أولياء بعض » ، لم يعض على كل ذلك إلا ثلاث سنين فما بال المسلمين كأنهم قد نسوا كل شيء . كان ! وما بالهم لا يزال ساستهم لا يجيدون إلا التسول في ردهات هيئة الأمم وفي مكاتب السفراء والمفوضين ، وإلا الاحتجاج ، ثم الاحتجاج بشدة ، ثم الاحتجاج شديد اللهجة جدا ، ثم . . . لا ثم بعد هذا إلا الميوعة والتغريير وضياع الوقت والكرامة والبقية الباقية من فلسطين !

لقد عدنا نسمع ونقرأ أن سياسة العرب يطرقون باب أمريكا لتنذر إسرائيل وتمنعها من جعل القدس عاصمة لها . . . وأن وزارة الخارجية الأمريكية طلبت من إسرائيل ألا تنقل إدارات أخرى — غير وزارة الخارجية التي تقرر نقلها — إلى القدس وألا تطلب من الممثلين السياسيين نقل بعثاتها إليها ريثما تتعقد الجمعية العامة للأمم المتحدة . وبينما سياسة العرب يرجون أمريكا ، وبينما أمريكا ترجو إسرائيل « هذا الرجاء الرقيق » . . . نرى إسرائيل ماضية في تحقيق ما ترجوه « هي » . . . والذي ترجوه — علم ساستنا الأذكاء أو لم يعلموا — هو تحقيق حلمها الديني العتيق : هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل اليهودي مكانه . واستخراج التوراة المدفونة تحته كما يزعمون . . . ؟ فليس رجاء أمريكا بالقى يجد مكانا في عقلية إسرائيل وعقيدتها . . . إن الحركة الصهيونية التي كالفت في سبيل إسرائيل اسمت باسم صهيون وهو جبل في « القدس ! » ولم تنقطع محاولات اليهود خلال الانتداب البريطاني لامتلاك الأراضي والمعارات في « القدس »

وللاستيلاء على بعض المقدسات الإسلامية وخاصة مكان البراق الشريف للتسرب إلى ساحة المسجد الأقصى المبارك لإعادة بناء هيكلهم ، ولكن هذه المحاولات لم تكف لتهود القدس رغم الأموال الطائلة التي خصصتها اليهودية العالمية لذلك ، ورغم المساعدات التي تهبأت لليهود في ظل الانتداب الإنجليزي الذي انتهى في مايو سنة ١٩٤٨ والعرب يكونون أكثرية القدس ويمثلون ٩٢ ٪ من مجموع أراضيها وممتلكاتها وذلك بفضل ثبات أهل القدس وجهود الهيئات العربية والدينية والمجلس الإسلامي الأعلى ، حتى إن هيئة الأمم المتحدة في قرارها الذي أصدرته في ١٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ بالتقسيم الجائر لم تستطع وضع القدس في القسم اليهودي المقترح لصيفتها العربية . فلجأ اليهود إلى القوة لتحقيق ما يريدون ، وبدأوا بخديعة الهدنة المؤقتة في القدس عند دخول الجيوش العربية فلسطين ، ولولا فضل الله وحامية الأقصى من أهل القدس ومن المتطوعين لحاصت القدس كلها لليهود قبل أن يصل إليها جيش شرق الأردن ، ولكنهم استطاعوا أن يحتلوا القدس الجديدة التي تسلموا أكثرها بضاعة مزجاة من الإنجليز عند مغادرتهم في آخر أيام الانتداب المشؤم ، ولم يسمهم في القدس القديمة إلا التسليم تحت وطأة هجوم المتطوعين (السكوماندوز) بعد فجر ليلة مباركة .

وهكذا بقيت القدس القديمة عربية مما جعل الكونت فولك برنادوت يوصي بضم القدس إلى القسم العربي . . وظل اليهود ماضين في عزمهم على تهويد بقية القدس وهم أولاء يقومون بمحركات ومحاولات عسكرية . فقد هززوا قواتهم في مرتفعات القدس الجديدة وحشدوا قوات عسكرية في الأماكن المشرفة على القدس القديمة ، واحتشد كثير منها في منطقة (شنلر) وهي منطقة استراتيجية هامة للانقضاض منها على البلدة القديمة ، وثبت أيضاً أنهم حاولوا تهريب كميات كبيرة من الأسلحة والعتاد إلى الجامعة العربية ومستشفى هاداسا في المنطقة الحرام على جبل الزيتون الذي يتسلط على القدس القديمة وعلى ساحة المسجد الأقصى المبارك بصورة خاصة . وتدل جميع القرائن على أن اليهود يعتزمون توجيه ضربتهم إلى القدس لاحتلالها ومواجهة هيئة الأمم المتحدة في دورتها القادمة بالأمر الواقع كما هو ديدنهم ، ويقال أنهم سيستغلون في ذلك فرصة مشكلة العرش في شرق الأردن وظروف الانتخابات في أمريكا وحاجة المرشحين إلى الأصوات التي يملكها اليهود وأموالهم .

هكذا يقف المسجد الأقصى المبارك وحوله صف المسلمين الأول من أهل القدس في مهب خطر عاصف .

ماذا يفعل المسلمون إزاء ذلك ؟ إزاء مؤامرة تهويد القدس القديمة كما رأينا ؟ إن ساستهم الكبار يرون في اقتراح « التدويل » مخلصاً من الخطر ! مع أن تدويل القدس يحمل في طياته الضر المستطير لأهل القدس ولقضية فلسطين وللعرب أجمعين .

إن القدس ، أو ما بقي عربياً منها بتعبير أدق ، في وضعها الحالي مدينة منهوكة متهاكلة كطير مهيبض الجناح ، تعاني الفقر المدقع والركود الشامل والحرمان المرير . لقد كانت في عهد الانتداب مقر السلطة المركزية في فلسطين ، وعلى موقع يربط القسم الداخلي من البلاد شماله بجنوبه ، وعلى

مركز المرور بين الأردن والعراق وسائر الشرق من جهة ، والبحر الأبيض ومصر من جهة أخرى ، وكانت مركزاً لعدد وفير من القرى تصرف فيها متوجاتها وتأخذ منها حاجاتها .

وفي كارثة فلسطين إرتزأت القدس بجميع ما كانت تتمتع به من ميزات : فقد انتقل مقر السلطة المركزية إلى عمان ، وبذلك تحول عنها كثير من أهلها ولم يعد لسائر البلاد ما يربطها بها من هذه الناحية .

وباحتلال اليهود للقدس الجديدة ، وبسيطرتهم على القسم الغربي من البلاد لم تعد القدس مركز المرور بين الشرق ومصر والبحر المتوسط .

وكذلك بسيطرتهم على الجزء الهام المار بالمدينة من الطريق الذي يصل الداخل الشمالى بالجنوبى أفقدها ميزة الموقع ، وقد أنشئت طريق جديدة فى القسم الغربى إلا أنها لا تغنى ذلك القناء لسببين : أما الأول فلائها أصبحت تربط بين عدد محدود من البلاد بين جنين فى الشمال والخليل فى الجنوب وقد كانت تربط من قبل بين سوريا عن طريق جسر بنات يعقوب ومصر عن طريق صحراء سيناء الداخلى إلى الاسماعيلية ، وأما السبب الآخر ، وهو يرجع إلى انتقال السلطة المركزية إلى عمان ، فإن ما بقى من مدن الشمال والجنوب قد وصلت بعمان رأساً بطرق جديدة لا تمر بالمدينة المقدسة . وبلاحتلال أيضاً فقدت القدس أكثر القرى التى كانت تعتبر مركزاً لها .

وبيت المقدس مدينة هجرها كثير من أهلها انتجاعاً للرزق ، ومع ذلك فإنها تضيق بسكانها وأكثرهم لاجئون من جميع البلاد ومن فى حكمهم ممن أجلوا عن أحيائهم المحتلة فيها ، وهؤلاء ليس فى طاقتهم انعاش المدينة وقوام عيشهم بمخصصات وكالة غوث اللاجئين الدولية .

فالقدس الآن ، وهذا الحال حالها ، تتعلق بكل ما تحسب فيه خلاصها أو التخفيف عن وطأة ما تعاني من ضيق . وتدويلها قد يلاقى قبولا عند القلة من قصار النظر ممن يرون فيه مصلحة خاصة من الأمل فى استرداد ما فقدوا من أملاك باحتلال اليهود ، أو فى اتساع مجالات العمل فيها برفع الحدود التى تقسمها وفتح الطرق التى تتصل بها . غير أن السواد من قاطنيها مع هذه الشدة لا يستسيقون التدويل ، بل يأبونه ويرفضونه ، لأنهم يدركون خطر التدويل ويزرون قبل غيرهم ما تنبئ به ارهاصات التدويل من أواخر العواقب وأشم البلايا .

إن خطر التدويل يهدد المدينة المقدسة بضياح محقق .

إن تدويل القدس يعنى خروجها من نطاق المنازعة بين الدول العربية واليهود إلى الوضع الدولى فإذا كان فى العرب عزم لاسترجاع فلسطين المفصولة وإعادة الأرض إلى أصحابها فإن الوضع الدولى فى بيت المقدس سيحيل ذلك إلى صعوبة مستحكمة ، بل إلى استحالة لارادتها ، والمفروض فى استنقاذ فلسطين معناه عداة عام لجميع الأمم .

ثم إن إشاعات التدويل قد أدت إلى نشاط ملحوظ من الأديرة والمؤسسات التبشيرية التى تفتديها أموال أجنبية وتقوم عليها مؤسسات أجنبية وهى جادة فى تملك الأراضى وبناء الأديرة فى القدس وحولها . وقد علمنا بصفقات تمقد ، ورأينا أحياء بكاملها فى صميم المدينة تهدم وينشأ مكانها بنايات كنسية أشبه فى نمط بنائها بالقلاع والحصون . ولا يزال هناك سيطرة ناشطون يعملون على تملك هذه المؤسسات الأراضى والمنازل بكل وسيلة . إن هذا العمل لا يرضى المواطنين المسيحيين

بله المسلمين لأنهم يعلمون أنها منشآت تؤسسها أموال أجنبية وتعمدها أغراض استعمارية لا تألو جهداً في تجريد المدينة من عروبتهما وعزلها عن تاريخها . وقد حاولوا التملك في القسم المحتل فلم يفلحوا ، بل لقد وجدوا في إنشاء مدارسهم تحت السلطة اليهودية عنتاً ومقاومة سلبية جعلتهم يركزون جهودهم في قسمنا المنكود . وموظفهم الذين يعملون هنا هم أنفسهم الذين فشلوا في إسرائيل .

ولنفرض أنه حم القضاء ، ونفذ تدويل القدس . إن الرائي البصير ليرى هول الكارثة وجسامة الخطر . إذ بذلك :

١ — تصبح المدينة المقدسة مركزاً لجاسوسية عالمية على جميع الأقطار العربية بحكم مركزها المتوسط لحساب كل طامع من الدول الغربية والشرقية على العموم ، ولحساب إسرائيل على وجه الخصوص .

٢ — تصبح المدينة المقدسة مركز تهريب لحاجات إسرائيل من البلاد العربية كالمواد الغذائية والأولية .

٣ — تصبح المدينة المقدسة مراكز تصريف لإنتاج اليهود الصناعي الهائل الذي تعتمد عليه اقتصادياتهم لتوزيعه على أسواق البلاد العربية .

٤ — تصبح المدينة المقدسة مركزاً مالياً للنقد العالمي تتحكم فيه اليهودية العالمية باقتصاديات البلاد العربية ، والعالم يشهد بالسبق لليهود في هذا المضمار .

٥ — يكسح اليهود المرافق الحيوية في المدينة لوفرة أموالهم وطموحهم إلى بلوغ غاياتهم وسيتولون التجارة والصناعة وستهي لهم السلطات الدولية أسباب ذلك ، ولن يبق للعرب من عمل إلا الدافه الرخيص في الأعم الغالب كحمل الأثقال ومسح الأخذية والفعالة وبعض الأعمال الزراعية ، وحتى هذه ، لن تسلم من منافسة اليهود .

وفوق ما تقدم ، وأهم مما تقدم ، أن تدويل القدس يعني بطبيعة الحال رفع الحدود بين العرب واليهود فيها ومرور أهلها العرب بأعدى أعدائهم الفاصلين لأراضيهم وممتلكاتهم والمنتهكين لأعراضهم وحرماهم والقاتلين لأبائهم وأبنائهم !! كيف يسوغ أن ترتفع هذه الحدود ويختلط العرب واليهود ؟ وكيف نتنظر أن يستقر الأمن في القدس على هذا الأساس ؟ ! لأنه ليس إلا ضمان واحد ، وهو أن تنولى السلطة الدولية الكبت والتنفيذ ، وذلك هو الذل والصغار . ثم أن الزمن كفيل بتحويله إلى رضى واستسلام يمينان الحمية وبيعدان عن الجهاد . وداهية الدوامي أن يفتح الجيل الجديد من الأمة عيبيه على واقع يصعب معه تخيل سواء ، ويحكم على فلسطين بما حكم به على الأندلس من قبل ورحم الله المتنبى :

واحتال الأذى ورؤية جانيه فضاء تضي به الأجسام
ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام
من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح يميت لإسلام

إن العاسة الذين لا يجدون للتهويد بديلاً إلا التدويل ، ساسة إما قصار النظر نسوا تاريخ قرون طويلة من الحروب والمكائد بين أوروبا الصليبية وبين المسلمين كان كل هدف الصليبية المعتدية من ورائها بيت المقدس !! ، أو يائسون . اتت حجتهم وغاب وازع الله في أنفسهم حتى

لم يعد المسجد الأقصى والأرض التي باركها الله حوله يعني عندهم أكثر من جدران لا بأس أن ينشأها من كل نوحها دنس الدنيا جميعاً ولا بأس أن يطفى على صوت المؤذن فيها دوى الأجراس وضحكات الغانيات من كل لون وورنين نقود اليهود !! . . .

لسنا بهذه الكلمات نعي هؤلاء الساسة . . . لأننا نعي بها المؤمنين الذين رأينا منهم أمثلة عالية قبل ثلاث سنوات على جبال فلسطين ووديانها . . . والذين دفنا الكثير منهم هناك برؤوس مهشمة وأجساد ممزقة وبدم مسفوح غزير . . . نعي هؤلاء وحدهم — وهم فيما نعلم مبثوثون في كل قطر من أقطار الإسلام — ليأخذوا حذرهم . . . وبعدوا عدتهم :
لسنا بهذا نحدد وقتاً ، فذلك أهل اختصاص والإسلام دين نظام . . . ولأننا نحن بذلك نشير إلى الطريق . . .

« وكأى من نبي قاتل معه ربيون كثير فإهتدوا له سبيلاً »
سبيل الله وما ضلوا وما استكانوا والله يحب الصابرين .

إبراهيم :

عاد دولة الدكتور مصدق إلى رئاسة وزارة إيران قوياً مظفراً وتولى مع الرئاسة وزارة الحرية ، وجاء حكم محكمة العدل بعدم اختصاصها بنظر قضية البترول ضربة لانجلترا وانتصاراً ثانياً لمصدق . وقبض على السيد قوام السلطنة في إحدى القرى القريبة من طهران ؛ وستجرى محاكمة بعض رجال البوليس الذي آذوا « الشعب البري » ! .

وكان للدور الذي قام به سماحة السيد آية الله الكاشاني الفضل الكبير في صيرورة الأمر إلى ما صار إليه فإن قيادته الشعبية ومظاهرته لمصدق هي التي جعلت عودة مصدق أمراً لا محيص عنه . وقد كان البيان الذي أصدره السيد الكاشاني بعد أن عهد جلالة الشاه إلى قوام السلطنة بتشكيل الوزارة قوياً . وكانت حملته فيه على أمريكا حملة شديدة إذ وصفها بأنها تعمل ذيلاً لتنفيذ السياسة البريطانية وأن البريطانيين يسوقون « هؤلاء الأمريكيين » في الطريق الذي ترسمه السياسة البريطانية ، وضرب لذلك مثلاً جريهم وراء الصهيونيين في البلاد العربية فأقاموا لهم دولة في فلسطين تنفيذاً للوعد بلفور البريطاني ولم يأبهوا بشعور الدول العربية والإسلامية بل هم يحاولون أن يكرهوها على أمرها ويلوحون لها بأن السبيل الوحيد لإقناذها من الأزمات هو الصلح مع إسرائيل . ثم قال أنه يرجو على الرغم من بوادر الحملات التي تشنها الصحف الأمريكية على الحركة الوطنية في إيران ألا يذهب الغباء بالأمريكيين إلى حد تأييد قوام السلطنة فإن فعلوا جلبوا الكراهية الشعبية في إيران عليهم وعندئذ فلا يلومون إلا أنفسهم .

إن المسلمين جميعاً يرفعون أكتف الضراعة إلى الله أن يهيء لإيران في علاج مشكلتها أقوم السبل ، ويجمع شملها ، وأن يثبتها حتى نهاية الشوط فإن طريقها شائك وإن نحن الحرية دائماً قال عزيز

تونس :

● تسكون وفد من مختلف الهيئات والجماعات في تونس وقابل جلالة الباي بعد أن افتتح « طوابير الحصار » حول القصر وقدم له مذكرة يعلن فيها رفض التونسيين جميعاً الإصلاحات التي تقدمت بها فرنسا ، وأنهم سيكافحون حتى آخر رجل .

ونحن ندعو الله أن يبارك الروح النامية في تونس وأن يصل بها إلى مداها .

أخبار متفرقة

● شرعت بريطانيا في نقل أعداد وفيرة من الجنود وحشد الآلات الحربية المختلفة ثم توزيعها على مناطق بعيدة عن الأنظار في جبال ليبيا وصحاريها .

● صرح سامي الصلح رئيس الدولة اللبنانية ووزير خارجيتها بأن الحكومة لم توافق بعد على مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط ولم ترفضه ، وقال أن مشروع الضمان الجماعي العربي مازال معروضا على لجان البرلمان لدراسته .

● أصدر اللاجئين العرب في نابلس والخليل ورام الله بيانا أكدوا فيه أنهم يفضلون البقاء في محنتهم الحالية على أى مشروع لتوطينهم في بلاد غير بلادهم ويعتبر بيان اللاجئين ردا على تصريح المستر بلاند فورد .

● صرح الدكتور نفيسى المتحدث الرسمي بلسان حكومة إيران بأن الدكتور مصدق صرح الشاه بأنه يجب على إيران أن تختار أمرا من اثنين : إما أن تحتفظ باستقلالها وتعضي في طريقها دون إقامة أى اعتبار للارباح التي كانت تدرها آبار البترول وفي تلك الحالة يجب على المجلس أن يؤيد الدكتور مصدق في مواصلة كفاحه كما سبق أن أبدته في عدة مناسبات . والأمر الثاني هو أن يقرر برلمان إيران أن أرباح شركة البترول أهم للدولة من الاستقلال وفي هذه الحالة سيتمين أن يعهد الشاه بالحكم إلى شخص آخر يكون مستعدا لقبول أى تسوية لشركة البترول وأعلن المتحدث نبأ العثور على أكثر من مائة وثيقة تثبت تدخل بريطانيا في شئون إيران الداخلية وذلك في مكتب استعلامات شركة البترول الانجليزية .

● صرح أميربكي مشول بأن مصرع الملك عبد الله مهد السبيل لتعاون وثيق بين سوريا والمملكة العربية السعودية والأردنية ولا يستبعد أن تظهر بوادر الاتفاق والتعاون بين الدول الثلاث بعد فترة قصيرة في الحقل العسكري .

● من أبناء سیدار رايدز في ولاية أبوا الأمريكية أن الاختيار وقع على السيد عبد الله أجنام ليكون أول رئيس للجمعية السياسية لمسلمي أمريكا الشمالية التي تأسست هناك هذا الأسبوع وتهدف الجمعية الجديدة إلى تعزيز أواصر الصداقة والأخوة والتفاهم بين المسلمين في أمريكا الشمالية كما تهدف إلى زيادة التفاهم بين المسلمين في الولايات المتحدة وإخوانهم في الوطن من ذوي المذاهب الأخرى .

● أبحرت إلى الصومال الإيطالي من بور سعيد بعثة الأزهر الشريف لفشر الثقافة الإسلامية .
● أبلغت الحكومة الفرنسية حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أن فرنسا قد تذهب من هيئة الأمم المتحدة إذا استنكرت الجمعية العامة السياسة الفرنسية في تونس .